سلسلة حديث الأنبياء (11)

كلمة الله المسيح

عيسى عليه السلام

الأستاذ

إبراهيم أحمد قشطة

المحتويات

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب: 70 - 71)

وبعد:

فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وشرّ الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار، أعاذنا الله من البدع والضلالات والنيران.

ثم أما بعد:

هذا كتاب كلمة الله عيسى المسيح عليه السلام، والذي يروي السيرة العطرة لعيسى المسيح مع قومه بني إسرائيل، ويمثل عيسى – عليه السلام – الطور الأخير من أطوار الديانة

الإسرائيلية ، فعيسى – عليه السلام – آخر أنبياء الأمة الإسرائيلية وبه ختم التشريع النصراني.

وقد اجتهدت في هذا الكتاب أن أعرض سيرة عيسى المسيح عرضًا صحيحًا نقيًا، وذلك من خلال ثلاثة فصول:

حيث جاء الفصل الأول (بدء أمر عيسى عليه السلام) يتحدث عن نسب عيسى الشريف ولقبه وكنيته، وذكر الفصل طرفًا من أخبار أمه العذراء البتول مريم ابنة عمران عليها السلام، وناقش الفصل ماهية حمل مريم بعيسى عليه السلام، ووضّح الحقّ فيه، كما وأشار الفصل إلى الاتهام اليهودي الكاذب الذي وُجّه لمريم البتول، وبين الفصل الأخبار العجيبة في ولادة عيسى، وتحدث الفصل عن معجزة عيسى الباهرة، وهي كلامه في المهد صبيًّا، وذكر الفصل صفة عيسى الخُلقية، وعرض الفصل اختلاف الناس في أمر عيسى عليه السلام، وناقش الفصل عقيدة النصارى في عيسى بشكل مستفيض، ثم أعقب الفصل ذلك بذكر العقيدة الحقة في عيسى عليه السلام، وختم الفصل بالتحدث عن مسألتين مهمتين، هما: تنزيه الله تعالى عن الولد والصاحبة، والطوائف التي نسبت الولد والصاحبة إلى الله تعالى.

أما الفصل الثاني (عيسى النبي الكريم عليه السلام) فقد سلط الضوء على الدور الدعوي الكبير الذي قام به عيسى في بني إسرائيل، وذلك من خلال التحدث عن: بدء نبوة عيسى عليه السلام، والكتاب المقدس الذي أنزل على عيسى، من حيث: اسمه، ودعوته، والتحريف الذي تناوله، وموقف علماء المسلمين من الإنجيل الموجود اليوم، وتحدث الفصل عن ماهية دعوة عيسى عليه السلام.

كما وبين الفصل الموقف العدائي من قبل اليهود تجاه عيسى – عليه السلام – ودعوته، وما ترتب على هذه العداوة من محاولة اليهود الفاشلة لقتل عيسى عليه السلام، وكيف نجاه الله تعالى من شرهم، برفعه جسدًا وروحًا إلى السماء، وختم الفصل بعرض مسألتين، هما: حواري عيسى عليه السلام، وخبر المائدة العجيب.

أما الفصل الثالث (خاتمة قصة عيسى عليه السلام) تحدث عن معجزات عيسى، وفضائله، كما ونبه الفصل إلى الإسرائيليات الكاذبة الواردة في قصة عيسى عليه السلام، وأخيرًا ختم الفصل بقطف الثمار الجلائل من قصة المسيح عيسى العطرة، فصلى الله عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم.

إبراهيم أحمد قشطة

الفصل الأول

بدء أمر عيسى عليه السلام

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ

بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي

ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٤٥﴾

(آل عمران: 45)

الفصل الأول

بدء أمر عيسى عليه السلام

تمهيد:

تبدأ قصة عيسى – عليه السلام – من لحظة نذر امرأة عمران ما في بطنها محررًا لخدمة بيت الله المقدس، وبالفعل ما أن وضعت امرأة عمران مولودها، إلا وجدتها أنثى، فسمتها مريم، وتمنت أن يتقبل الله تعالى نذرها، وبالفعل تقبل الله مريم قبولًا حسنًا، ومنحها شرف خدمة بيته المقدس، وتحققت أمنية أمها.

وهكذا نشأت مريم في أكناف بيت المقدس، نشأت نشأة الطهر والعفاف والتقوى، فكافأها الله تعالى بأن جعلها أمّ آخر أنبيائه بني إسرائيل، وقد جاء حمل مريم بطفلها عيسى بطريقة عجيبة وغير مألوفة، حيث جاء الحمل بنفخة زكية من الملك الزكي جبريل عليه السلام، فوقعت هذه النفخة الزكية في رحم مريم النقية التقية، فأنشأ الله تعالى منها الروح الزكية عيسى عليه السلام.

هكذا كان حمل عيسى حملًا عجيبًا، وكذلك جاء ميلاده – أيضًا – ميلادًا فريدًا، حيث وضعته أمه، وهي في ولج شديد، وقلق أكيد، بِمَ ستجيب قومها عند سؤالهم من أبوه؟!

وبالفعل ظلت مريم في توترها الشديد وقلقها الأكيد مدة حملها كله وحتى وضعه، ظلت في توترها وقلقها حتى جاءها التطمين الإلهي الكريم: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا﴾ (مريم: 24)، فقرت عينها، وسكنت نفسها، واسترح قلبها، فحملت رضيعها، وجاءت به إلى قومها، وهي واثقة الخطى، مستقرة الأركان، هادئة الجأش.

فما كان ردّ فعل قومها؟ وبِمَ أجابتهم؟ وما صار لهذا الغلام الزكي؟

هذا ما سنعرفه – إن شاء الله – في هذا الفصل الفريد.

نسب عيسى - عليه السلام - ولقبه وكنيته:

عيسى – عليه السلام – ينسب إلى أمه مريم، فهو عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام؛ لأنه ولد من غير أب، قال تعالى: ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ

وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ (آل عمران: 45)، أما لقب عيسى: هو المسيح، قال تعالى: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ﴾ (المائدة: 75)، أما كنية عيسى: ابن مريم.

تنويه: في العبرانية يسمى عيسى بـ (يشوع)، بينما يسمى عيسى في الإنجيل بـ (يسوع).

لطيفة: ما سرّ إثبات همزة (ابن) في عيسى ابن مريم في رسم القرآن الكريم؟

بداية: إثبات همزة الوصل في (ابن) هو الأصل، وقد أثبتت همزة الوصل حسب ذلك الأصل في القرآن في موضعين، الموضع الأول: في قوله تعالى: ﴿عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾ وذلك في خمسة عشر موضعًا، قال تعالى: ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾ (آل عمران: 45)

وفي اثبات همزة الوصل في ﴿عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾ وجه لطيف من البيان، إذ ليست مريم لعيسى عليهما السلام بأب،

فأثبتت همزة الوصل تنبيه على أن عيسى غير مضاف إلى الأب الذي جرت العادة بأن يضاف إليه.

أما الموضع الثاني: في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ﴾ (التوبة: 30)، وإثبات همزة الوصل في هذا الموضع لا مورد له في هذا الشأن أساسًا، حيث إن كلمة (ابن) خبر المبتدأ (عُزير)، لا نعته.

تساؤلات:

1. **ما أصل كلمة (عيسى)؟**

قال الدرويش: " عيسى معرب من (إيشوع)، وقيل: مشتق من العيس، وهو بياض تعلوه حمرة." (محيي الدين الدرويش: 2001)

2. **ما أصل كلمة (المسيح)؟**

قيل: " إن أصل هذه الكلمة عبرانية أو سريانية (مشيحا) فعربت، فقيل المسيح، كما عربت سائر أسماء الأنبياء التي في القرآن، مثل: إسماعيل، وإسحاق، وموسى، وعيسى." (خالد السبت: 1421)

وقال أبو جعفر: " وليس ما مثّل به من ذلك لـ (المسيح) بنظير، وذلك أن إسماعيل وإسحاق ، وما أشبه

ذلك، أسماء لا صفات، والمسيح صفة، وغير جائز أن تخاطب العرب وغيرها من أجناس الخلق في صفة شيء إلا بمثل ما تفهم عمن خاطبها، ولو كان (المسيح) من غير كلام العرب، ولم تكن العرب تعقل معناه، ما خوطبت به." (خالد السبت: 1421)

لذا الصواب: كلمة المسيح كلمة عربية، " وأصل (المسيح) الممسوح صرف من مفعول إلى فعيل." (ابن جرير الطبري: 2002)

وقال الدرويش: " والمسيح هو لقب من الألقاب الشريفة التي تشعر بالرفعة كالصديق والفاروق." (محيي الدين الدرويش: 2001)

3. لِمَ لُقب عيسى بالمسيح؟

ذكر العلماء جملة من الأقوال في سبب تلقيب عيسى بالمسيح، منها: سمي عيسى بالمسيح:

1. لمسحه الأرض، وهو سياحته فيها، وفراره بدينه من الفتن في ذلك الزمان؛ لشدة تكذيب اليهود له، وافترائهم عليه وعلى أمه عليهما السلام. (ابن كثير: 2002)
2. لأنه كان يمسح الأبرص والأعمى والأكمة فيبرئ كلًا منهم بإذن الله. (مصطفى العدوي: 2002)

3. لاشتماله على مسحة جمال فاتنة باهرة.
4. لأنه كان ممسوح القدمين من الأسفل. (مصطفى العدوي: 2002)
5. لمسح الذنوب عنه.

وهذه الأقوال على جلالة من قال بها، لا دليل شرعي صحيح عليها؛ **لذا الصواب:** أن يقال في سبب تلقيب عيسى بالمسيح: " الله سبحانه هو الذي لقبه المسيح، وسماه بعيسى قبل أن يولد، فقد قالت الملائكة: ﴿يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾ (آل عمران: 45)، والله تعالى أعلم." (مصطفى العدوي: 2002)

فائدة: أُطلق اسم المسيح (بالحاء المهملة) على الدجال أيضًا؛ لئن إحدى عينيه ممسوحة، فقد صح قول الرسول صلى الله عليه وسلم: " **إن الدجال ممسوح العين.**" (رواه مسلم: 2933)

أم عيسى عليها السلام:

أم عيسى هي مريم ابنة عمران بلا شك.

وقد ذكر ابن كثير نسب أبي مريم: " قال محمد بن إسحاق: هو عمران بن باشم بن أمون بن ميشا بن حزقيا بن أحريق بن

موثم بن عزريا بن أمصيا بن ياوش بن أحريهو بن يازم بن يهفاشاط بن إيشا بن إبان بن رحبعان بن داود." (ابن كثير: ٢٠٠٢)

بينما ذكر ابن عساكر نسبًا مخالفًا عن نسب ابن إسحاق: " مريم بنت عمران بن ماثان بن العازر بن اليود بن أخنز بن صادوق بن عيازوز بن الياقيم بن أبيودين بن زربابيل بن شالتال بن يوحينا بن برشا بن أمون بن ميشا بن حزقيا بن أحاز بن موثام بن عزريا بن يورام بن يوشافاط بن إيشا بن إيبا بن رحبعام بن سليمان بن داود عليه السلام." (ابن كثير: ٢٠٠٢)

ويبدو من اختلاف هذين النسبين أنهما غير صحيحين، هذا من جهة، ومن جهة أخرى هما مأخوذان من الإسرائيليات التي لا تصح عندنا.

الحاصل: أنه لا خلاف في أن مريم من سلالة نبي الله داود عليه السلام، وأبوها هو عمران صاحب صلاة بني إسرائيل في زمانه.

وأما أمها فقد ذكر المفسرون أن اسمها: حنة بنت فاقوذ، ولم يرد شيء صحيح يقطع بأن اسم أم مريم حنة بنت فاقوذ.

على كل حال: كان أبو مريم رئيس قومه، ومن أصحاب المقامات الرفيعة عندهم، وأمها كانت شريفة من شريفات قومها، وعابدة لله تعالى، فأنعم بذلك من نسب!!

وقد مرّ معنا قصة ميلادها وكفالة زكريا – عليه السلام – لها؛ فلترجع في قصة زكريا عليه السلام.

نشأة مريم البتول:

نشأت مريم – عليها السلام – نشأة الطهر والعفاف والبعد عن الآثام والمحرمات، ولا عجب في ذلك فقد نشأت في بيئة إيمانية فريدة، فأبوها عمران صاحب صلاة بني إسرائيل، وأمها عابدة من عابدات بني إسرائيل، والذي تكفل بتربيتها نبي ذلك الزمان زكريا عليه السلام، فأنعم بذلك من تنشئة!

أضف إلى ذلك أنها عاشت في جوار بيت المقدس، وما أدراك أن يعيش الإنسان في أكناف هذا المسجد الفضيل!!

وأكثر من ذلك أنها نشأت مشمولة برعاية الله وحفظه، ومحفوفة بلحظه، ومحروسة بلطفه!!

فكانت كالنبات الطيب الذي نبت في الأرض الطيبة، فنما الزرع واستوى على سوقه، يعجب الزراع ويغيظ الكفار!!

وكرامة لمريم كانت الملائكة الكرام تأتيها بين الحين والحين؛ لتخبرها بمقامها الرفيع السامي عند الله، حيث قالت الملائكة: ﴿يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (آل عمران: 42) أي: قالت الملائكة لمريم: ابشري باختيار الله تعالى لك لتكوني في شرف خدمة بيته المقدس، وابشري بتطهيرك من الشرك والمعاصي والأخلاق الدنيئة، وابشري بأنك ستكونين سيدة من سيدات نساء أهل الجنة.

وتأمل: بشرتها الملائكة بذلك؛ لتستثير فيها الهمة العالية للعبادة، والاستقامة الجادة على الطريق.

ولم تكتفِ الملائكة لحث مريم على العبادة بهذه البشارة الجميلة الحميدة وحسب، بل أوحت إليها صراحة بأن تكثر العبادة، ولا سيما الصلاة حيث قالت الملائكة لمريم: ﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ۝٤٣﴾ (آل عمران: ٤٣) أي: خاطبت الملائكة مريم أن داومي على طاعة ربك، وأخلصي العبادة له في خشوع وخضوع، وأكثري من السجود والركوع مع عباده الراكعين، شكرًا لله على ما أولاك به نعم عظيمة، وإعلانًا للعبودية التامة لله.

تساؤلات:

1. **ما المقصود من قوله تعالى: ﴿وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ (آل عمران: ٤٣)؟**

ذكر: أي اشهدي صلاة الجماعة وصليها مع المصلين.

وذكر: أي: اجتهدي في العبادة لتكوني من جملة عباد الله الراكعين، وهذا هو الصواب، والله أعلم.

2. **لِمَ قدمت الآية السجود على الركوع؟**

ذكر بعض العلماء أن ذلك التقديم للسجود على الركوع لا تأثير له، حيث أن الواو هنا لا تفيد الترتيب، وإنما هي تفيد مطلق الجمع والتشريك وحسب.

وقال الدرويش: " قدم السجود وهو متأخر في حكم الصلاة للاهتمام به، ولكونه أدلّ على التذلل والعبادة، وهذا ديدنهم تقديم الأهم على المهم." (محيي الدين الدرويش: 2001)

بينما ذكر آخرون وجهًا بديعًا في سبب تقديم السجود على الركوع خلاصته:

الخطاب في الآية لمريم، وكون مريم امرأة، فتكون صلاتها في بيتها أقرب إلى الله من صلاتها في المسجد، فقوله تعالى: (اسجدي) إذا وضعناه بجوار قول النبي صلى الله عليه وسلم: " **وصلاتها في دارها خير من صلاتها في مسجد قومها.**" (رواه الطبراني: (9101) بإسناد جيد) يجعلنا نحمل معنى (اسجدي) على الصلاة في البيت.

أما قوله تعالى: ﴿وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ (آل عمران: 4٣) فهو تجويز لها أن تصلي مع جماعة المصلين إلا أن فضله دون صلاتها في بيتها؛ لذا قدم الله السجود على الركوع.

3. لِمَ لَمْ يقل الله تعالى: (واركعي مع الركعات)؟

لم يقل تعالى" (واركعي مع الركعات)، بل قال: ﴿وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ (آل عمران: ٤٣)؛ لئن الكُمل من الرجال أكثر من الكُمل من النساء.

4. لِمَ خَصّ سبحانه الركوع والسجود بالذكر خاصة من هيئات الصلاة دون غيرها؟

قال السعدي: " خَصّ السجود والركوع لفضلها ودلالتهما على غاية الخضوع." (عبد الرحمن السعدي: 2000)

وقال الدرويش: " وأيضًا فيها إطلاق الجزء وإرادة الكلّ." (محيي الدين الدرويش: 2001)

5. لم كُرر النداء بـ ﴿يَٰمَرۡيَمُ﴾ مرتين في قوله تعالى:

﴿وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ (آل عمران: 42- 43)؟

قال الدرويش: " كرر النداء للإيذان بأن كل واحد منهما مسوق لمعنى، فالأول تذكير بالنعمة، وهو بمثابة تمهيد للثاني، الذي هو للتكليف والترغيب في العمل." (محيي الدين الدرويش: 2001)

مريم الصديقة:

قال بعض العلماء: إنَّ مريم كانت نبية، واستدلوا على ذلك بأنَّ الذي أوحى إليها هو نفس الذي كان يوحي إلى سائر النبيين.

بينما قال الجمهور: إنَّ مريم ليست نبية، حيث إنَّ النبوة مختصة بالرجال فقط، **وهذا هو الصواب – أن شاء الله – لما يأتي:**

قال تعالى: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ﴾ (المائدة: 75) قال ابن كثير: " دلت الآية على أن مريم ليست نبية كما زعمه ابن حزم وغيره، ممن ذهب إلى نبوة سارة أم إسحاق ونبوة أم عيسى ونبوة أم موسى." (ابن كثير: 1987)

وقال السعدي: " (والآية) دليل على أن مريم لم تكن نبية، بل أعلى أحوالها الصديقية." (عبد الرحمن السعدي: 2000)

لِمَ سُميت مريم بالصديقة؟

ذكر العلماء أقوال عدة في سبب تسمية مريم بذلك، منها: سميت بالصديقة:

- لأنها صدقت بآيات الله تعالى، كما قال تعالى في وصفها: ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا

فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾ (التحريم: 12)

- لأنها كانت كثيرة الصدق.
- لأنها آمنت بعيسى وصدقته.

فائدة لغوية: الصديقة صيغة مبالغة في التمسك بفضيلة الصدق، ونظيره: الضحيك، والنطيق.

وقال الراغب: " الصديق من كثر منه الصدق."

وذُكر: يقال صديق لمن لم يكذب قط، فهو بليغ الصدق في أقواله وأفعاله.

وذُكر: يقال صديق لمن لا يأتي منه الكذب؛ لتعوده الصدق.

وقال الطبري: " وقد قيل: إن أبا بكر الصديق – رضي الله عنه – فيما قيل له (الصديق)؛ لصدقه. وقد قيل: إنه سُمِيَ صديقًا لتصديقه النبي – صلى الله عليه وسلم – في مسيره في ليلة واحدة إلى بيت المقدس من مكة وعوده إليها." (ابن جرير: 2002)

فضل مريم عليها السلام:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ (آل عمران:42)

في هذه الآية أسمى ألوان المدح والتكريم لمريم العذراء البتول، فقد أخبر تعالى باصطفائه لها وهي صغيرة وكبيرة، وبطُهرها من كل سوء ورذيلة، والإشارة إلى الطهر هنا إشارة ذات مغزى ومعنى؛ وذلك لما لابس مولد عيسى – عليه السلام – من الخوارق جعلت اليهود يكذبون على مريم، ويفترون عليها زورًا وبهتانًا بما هي منه براء.

ما هذان الاصطفاءان والتطهير؟

أما الاصطفاءان هما: اصطفاء الاختيار، واصفاء التفضيل.

فالاصطفاء الأول هو: اصطفاء الاختيار: حيث اصطفاها الله تعالى بأن اختارها من بين نساء أهل زمانها؛ لخدمة بيته، والمكث في المحراب، ويبدو أن ذلك لم يكن يحدث لنساء زمانها.

أما الاصطفاء الثاني هو: اصطفاء التفضيل: وهو تفضيل مريم على نساء العالمين بأن جعلها سيدة من سيدات أهل الجنة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **حسبك من نساء العالمين**

مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون." (رواه الترمذي: (3878)، وأحمد: (12414) باختلاف يسير، وابن حبان: (3003) واللفظ له) والحديث صحيح.

أما التطهير: فهو التطهير من الكفر والشرك والمعاصي والذنوب والأخلاق الدنيئة، مثل: الغلّ، والحقد، ونحوه.

تصحيح: ذكر أن تطهير مريم كان تطهيرًا من الحيض والنفاس، وهذا القول قول غير صحيح ومردود؛ لئن الحيض والنفاس مما قد كتبه الله على بنات آدم، وبالطبع مريم داخلة فيهن.

ونعود – والعود أحمد – إلى فضائل مريم ففضلًا عن هذين الاصطفاءين والتطهير، فإن الله تعالى جعلها صديقة، كما وجعلها وابنها آية للعالمين، وقد كمّلها تعالى في عقلها وخُلقها وخَلقها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام.**" (رواه البخاري: (3411)، ومسلم: (2431))

أضف إلى ذلك أنه لم يرد في القرآن الكريم ذكر اسم امرأة سوى مريم عليها السلام، وهي التي أحصنت فرجها، وهي التي

تمثل له جبريل بشرًا سويًا، وكلمته، وكلمها، ونفخ في درعها نفخة روحانية، وهبت على إثرها بغلام زكي، فصارت أم آخر أنبياء بني إسرائيل عيسى عليه السلام، وصدقته، وآمنت به، كما صدقت بكلمات ربها – من قبل – حتى صارت من القانتين.

قال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَانَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ (التحريم: 12)

فأنعم بها من امرأة مؤمنة صديقة قانتة!!

ويطرح في مسألة فضل مريم التساؤل التالي: هل مريم سيدة نساء أهل الجنة على الإطلاق؟

انقسم العلماء في ذلك على قولين مشهورين:

القول الأول: مريم – عليها السلام – هي سيدة نساء أهل الجنة على الاطلاق، واستدلوا على ذلك بأدلة:

1. قوله تعالى: ﴿يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ (آل عمران: 42)، فذكروا أن المقصود بالاصطفاء الثاني هو تفضيلها على نساء العالمين جميعًا.

2. قوله صلى الله عليه وسلم: " **سيدة نساء أهل الجنة مريم بنت عمران، ثم فاطمة، ثم خديجة، ثم آسية امرأة فرعون.**"، وقالوا هذا الترتيب يقتضي أن مريم أفضل نساء أهل الجنة على الإطلاق.
3. وقوله صلى الله عليه وسلم: " **الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وفاطمة سيدة نسائهم إلا ما كان لمريم بنت عمران.**" (رواه أحمد: (11636)، واللفظ له، والنسائي: (8461)، وأبو يعلى: (1169))

ومعنى الحديث: أن فاطمة ومريم أفضل نساء أهل الجنة، ولكن مريم زادت على فاطمة في الفضل بدليل الترتيب المذكور في الحديث السابق.

4. وقوله صلى الله عليه وسلم: " **كَمُل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام.**" (رواه البخاري: (3411)، ومسلم: (2431))

القول الثاني: مريم – عليها السلام – هي إحدى فضليات نساء أهل الجنة، وليست أفضلهن على الاطلاق، **وهذا هو الصواب إن شاء الله لما يأتي:**

1. قول تعالى: ﴿يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٤٢﴾ (آل عمران: 42)، ليس المقصود بالاصطفاء الثاني تفضيلها على نساء أهل الجنة على الاطلاق، إنما المقصود جعلها سيدة من سيدات أهل الجنة.
2. وقوله صلى الله عليه وسلم: " **سيدة أهل الجنة مريم بنت عمران ثم فاطمة ثم خديجة ثم آسية امرأة فرعون** " قال ابن حجر: " إن هذا الحديث ليس بثابت، وأصله عند أبي داود والحاكم بغير صيغة الترتيب." (ابن حجر: 2002)
3. أما حديث: " **الحسن والحسين سيدا شباب الجنة، وفاطمة سيدة نسائهم إلا ما كان من مريم بنت عمران.**" (رواه أحمد: (11636) واللفظ له، والنسائي: (28491)، وأبو يعلى: (1169)) الحديث صحيح، بيد أن الاستثناء في الحديث يحتمل احتمالين: الأول: مريم أفضل من فاطمة، والثاني: إن مريم وفاطمة على السواء في الفضيلة، وعلى الاحتمال الثاني لا وجه في هذا الحديث لتفضيل مريم به.

4. أما حديث: " **كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام.**" (رواه البخاري: (3411)، ومسلم: (2341)) الحديث صحيح، ولكن المراد بأفضلية آسية ومريم أن ذلك كان في زمانهما، فإن كلًا منهما كفلت نبيًّا في حال صغره، فآسية كفلت موسى الكليم، ومريم كفلت ولدها عيسى المسيح، ولا ينفي هذا الكمال كمال غيرهما في هذه الأمة كخديجة وفاطمة وعائشة.

فخديجة رضي الله عنها: هي زوج النبي الأولى، ولم يتزوج عليها في حياتها امرأة أخرى، وعاشت مع النبي – صلى الله عليه وسلم – قبل البعثة خمس عشرة سنة، وبعدها أكثر من عشر سنوات، ورزق منها بالولد، وكانت له وزير صدق بنفسها ومالها.

وأما فاطمة رضي الله عنها: فهي بنت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأنعم بذلك من نسب، وقد زادت على سائر أخواتها بفضيلة أنها أصيبت برسول الله صلى الله عليه وسلم، أما بقية أخواتها فقد متن في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، وذُكر فيها الكثير من الأحاديث التي تخبر بكونها سيدة نساء

أهل الجنة، مثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **فاطمة سيدة نساء أهل الجنة.**" (رواه الترمذي: (3781)) والحديث صحيح.

أما عائشة رضي الله عنها: فهي زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت أحب الأزواج عنده، ولم يتزوج بكرًا غيرها، وقد غار الله تعالى لها في حادثة الإفك، فأنزل براءتها من فوق سبع سموات، ولم يعرف في نساء هذه الأمة ولا غيرها من أعلم منها، ولا أفهم، وقد عمرت بعد النبي – صلى الله عليه وسلم – حوالى خمسين سنة، وهي تعلم الأمة سنة الرسول – صلى الله عليه وسلم – وتشرح الآثار، وتفتي المسلمين وتعلم الناس.

هل مريم من زوجات النبي – صلى الله عليه وسلم – في الجنة؟

ذُكرت آثار تخبر بأن مريم ستكون من زوجات النبي – صلى الله عليها وسلم – في الجنة، فقد قال الكلبي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ٥﴾ (التحريم: 5) " أراد بالثيب آسية امرأة فرعون، وبالبكر مثل مريم ابنة عمران." (القرطبي : 2002)

كما رويت أحاديث تذكر أن مريم من زوجات النبي – صلى الله عليه وسلم – في الجنة، فقد روى ابن السني في عمل اليوم والليلة، والديلمي في مسند الفردوس عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: دخل عليّ رسول الله مسرورًا، **فقال يا عائشة: إن الله – عز وجل – زوجني مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم في الجنة.** قالت: قلت: بالرفاة والبنين، يا رسول الله." (رواه ابن السني، ورواه الديلمي: (8620)) الحديث ضعيف.

وهذه الآثار – على جلالة من قال بها – لا تصلح أن تكون دليلًا لهذه المسألة؛ لئن مثل هذه المسائل غيبية تحتاج إلى أدلة شرعية صحيحة، وهذه الأدلة الشرعية الصحيحة غابت بالكلية عن هذه المسألة، فقول الكلبي – رحمه الله – قول ضعيف لا يصح أن تفسر به الآية، والتفسير الصحيح للآية: أي: عسى ربّ محمد إن طلقكن يا معشر أزواج محمد – صلى الله عليه وسلم – أن يبدله أزواجًا خيرًا منكن، وقد قيل: نزلت هذه الآية على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – تحذيرًا من الله تعالى لنساء النبي – صلى الله عليه وسلم – لما اجتمعن عليه في الغيرة.

الحاصل: الآية ليس في تفسيرها الصحيح لا من قريب ولا بعيد أي إشارة إلى أنَّ مريم وآسية من زوجات النبي – صلى الله عليه وسلم – في الجنة.

أما الأحاديث المذكورة في هذا الباب، لا تصح، قال ابن كثير: " وكل ما ذكر من أحاديث خبر أن مريم بنت عمران زوجة الرسول في الجنة، كلها أحاديث منكرة ضعيفة لا يصح منها شيء، ولا تجوز نسبتها إلى النبي صلى الله عليه وسلم." (ابن كثير: 2002)

فالصواب: أنه لا يقطع في ذلك.

البشارة بعيسى عليه السلام:

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ (آل عمران: 45)

قال السعدي: يخبر الله تعالى أن الملائكة بشرت مريم – عليها السلام – بأعظم بشارة، وهي كلمة الله عبده ورسوله عيسى ابن مريم." (عبد الرحمن السعدي: 2002)

لِمَ بشرت الملائكة مريم بعيسى؟

البشارة غالبًا في عرف الاستعمال اللغوي تكون للإخبار بما هو يُسرّ، وبالطبع إخبار مريم بأنها ستكون أمًّا لآخر أنبياء بني

إسرائيل ذلك مما يُسرّ الإنسان به؛ لذا بشرت الملائكة مريم بهذه الأخبار السارة المفرحة.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى هذه البشارة كانت كتهيئة لمريم قبل أن تتعرض للأمر الجلل، وهو قدوم الملك جبريل إليها، والنفخ في درعها، ثم الحمل به، ووضعه، وأخيرًا الإتيان به لقومها، والله أعلم.

تساؤلان:

1. قالت الملائكة لمريم: ﴿يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾ (آل عمران: 45)، **فكيف قالت الملائكة: (يا مريم) والخطاب معها؟**

قالت الملائكة: (يا مريم) والخطاب معها؛ لجذب انتباهها إلى البشارة التي ستقال لها.

2. **كيف قالت الملائكة لمريم:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾ **ومريم تعلم أنَّ هذا الولد الذي بشرت به يكون ابنها؟!**

قال الأنصاري: " لئن الناس ينسبون إلى الآباء لا إلى الأمهات، فأعلمت بنسبته إليها أنه يولد من غير أب، فلا ينسب إلا إلى أمه." (زكريا الأنصاري: 2003)

حمل مريم بعيسى عليه السلام:

المتعارف عليه بين الناس أنَّ الحمل يحدث نتيجة مسّ الرجل المرأة، ولكن حملت مريم بجنينها عيسى بطريقة عجيبة وغير مألوفة، **فما قصة هذا الحمل العجيب؟!**

تبدأ قصة هذا الحمل العجيب عندما أحبت مريم الانعزال عن الناس، قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا﴾ (مريم: 16) أي: اذكر – يا محمد – قصة مريم العجيبة الغريبة الدالة على كمال قدرة الله، عندما اعتزلت أهلها، وتنحت عنهم في المكان الشرقي لبيت المقدس.

وتأمل: كلمة (انتبذت) ألا توحي لك هذه الكلمة بشدة عزلة مريم عن خاصة أهلها؟! إذ النبذ معناه: الطرح والرمي، فكأنها ألقت بنفسها في هذا المكان.

كما أنها: ﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا﴾ (مريم: 17) أي: جعلت بينها وبين قومها سترًا وحاجزًا.

وكان هذا التباعد منها عن أهلها وخاصتها، واتخذ الحجاب من دونهم طلبًا للتفرغ للعبادة، والاجتهاد فيها.

وكأن هذا الاجتهاد الكبير منها في العبادة جاء امتثالًا لقول ربها: ﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ (آل عمران: 43)

لله درها عابدة مخبتة طائعة!!

وفي يوم من أيام عبادتها في المسجد، وهي في خلوتها، إذ بها تتفاجأ بشاب وضي الوجه حسن الصورة مستوى الخلقة، يقطع عليها خلوتها!!

قال تعالى: ﴿فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا﴾ (مريم: 17) أي: أرسلنا إلى مريم جبريل – عليه السلام – وهي في خلوتها، متصورًا لها في صورة بشر سوي، تام الخلقة، بهي الطلعة.

تساؤلات:

1. **لِمَ أضيف جبريل إلى الله تعالى في قوله:** ﴿ رُوحَنَا﴾ **(مريم: 17)؟**

إضافة جبريل إلى الله تعالى هي إضافة تشريف كقوله: (بيت الله)، ونحوه.

2. **لِمَ سُمِيَ جبريل روحًا؟**

سُمِيَ جبريل روحًا؛ لقيام الحياة الحقيقية بسبب ما وكل

به من الوحي، والله أعلم.

3. لِمَ لَمْ يأتها جبريل بصورته الملكية؟

قال المفسرون: " إنما تمثل لها في صورة الإنسان؛ لتسأنس بكلامه، ولا تنفر عنه، ولو بدا في الصورة الملكية؛ لنفرت، ولم تقدر على السماع لكلامه." (محمد الصابوني)

الحاصل: جبريل دخل على مريم وهي في خلوتها، دخل عليها وهو في صورة شاب سوي الخلقة بهي الطلعة، ولمّا كانت مريم في عزلة وانفراد عن الناس خشيت أن يكون هذا الرجل قد يريدها بسوء، **فماذا تفعل؟!**

اعتصمت بربها، واستعاذت بالله منه، فقالت: ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا﴾ (مريم: 18) أي: قالت مريم: إني أحتمي وألتجئ إلى الله منك.

قال الصابوني: " وجواب الشرط محذوف (هنا) تقديره: إن كنت تقيًّا فاتركني ولا تؤذيني." (محمد الصابوني)

وتأمل هذا القول من مريم: ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا﴾ (مريم: 18) ألا تلحظ فيه قمة سامية من العفة والطهر والبعد عن الريبة؟! فهي شابة جميلة، وفي مكان خال،

وبعيد عن الناس، والذي يخاطبها شاب ذو جمال باهر وخلقة مستوية.

لله درها عفيفة شريفة**!!**

وتأمل أيضًا: حسن تصرف مريم في هذا الموقف العصيب الطارئ، فقد جمعت بين الاعتصام بربها، وبين تخويف هذا الذي قطع عليها خلوتها، وهذا هو المشروع في الدفع، يبدأ بالأسهل فالأسهل.

وتأمل كذلك: اختيار مريم اسم (الرحمن) دون سائر أسماء الله الحسنى ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ﴾ (مريم: 18)، ألا تلحظ ما في هذا الاسم من تأثير بالغ وقوي على إثارة مشاعر التقوى في نفس الإنسان، لا سيما التقي؟! إذ إن هذا الاسم (الرحمن) ينفض وجدان الإنسان التقي، ويرفع عنه سوء القصد الذي قد يخطر بباله، لا سيما والحالة هكذا.

وتأمل كذلك: كيف هزت مريم وجدان هذا الداخل عليها بتذكيره بالتقوى ﴿إِن كُنتَ تَقِيّٗا﴾ (مريم: 18)، قال أبو العالية: " علمت أن التقي ذو نهية." (ابن كثير: 2002)

لله درها نابهة عاقلة**!!**

تصحيح: ذكر أنه كان في بني إسرائيل رجل فاسق اسمه تقى فاستعاذت مريم منه، قال ابن كثير: " وهذا القول باطل بلا دليل، وهو من أسخف الأقوال." (ابن كثير: 2002)

الحاصل: خافت مريم من أن تكون نية هذا الداخل عليها وهي في خلوتها نية سوء.

لِمَ خافت مريم منه مع أنه لم ينطق بسوء؟

قال السعدي: " لئن ذلك أبلغ في العفة والبعد عن الشر وأسبابه." (عبد الرحمن السعدي: 2000)

على كل حال: لما رأى جبريل من مريم كل هذا الهلع والفزع والشك والريبة، كشف اللثام عن نفسه الشريفة، وخاطبها بما يدخل السكينة والطمأنينة على نفسها القلقة الحزينة: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾ (مريم: 19) أي: خاطبها جبريل: أني لست بشرًا، وإنما أنا ملك، ووظيفتي تنفيذ رسالة ربي فيك.

فيا ترى ما هذه الوظيفة؟!

﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ (مريم: 19) أي: وظيفتي لك هي: أن أهب لك ولدًا طاهرًا من الذنوب.

ولك أن تتخيل هول المفاجأة التي أصابت مريم!!

ولك أن تتخيل كمّ الأسئلة التي ستخطر ببالها!!

وبالفعل هال هذا الكلام مريم العذراء، فما أن سمعت مريم هذا الكلام إلا أن تسألت بخوف وفزع: ﴿رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ (آل عمران: ٤٧) أي: كيف يكون لي ولد وأنا لم أتزوج.

وفي هذا القول من مريم المعنى الكامل لحسن التوكل على الله، حيث صدرت تساؤلها بالنداء (رب) للتأكيد على حسن التوكل على الله، وثقة في قدرة الله على كل شيء.

وفي هذا القول – أيضًا – دليل على رجاحة عقلها، حيث لم تنفِ ذلك، ولم تعتقد بصدقه.

وقالت أيضًا: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ (مريم: 20) أي : كيف يأتيني الولد، وأنا لست بذات زوج، ولا يتصور مني الفجور؟!

وتأمل: أدب التعبير القرآني، حيث عبّر عن الجماع بالمسّ، وفي ذلك إشارة لطيفة للناس أن يهذبوا ألفاظهم وتعبيراتهم!!

على كل حال: هذا الاستغراب من مريم جاء على حسب فهمها لكيفية تكوين الجنين، وليس شكًّا في قدرة الله تعالى أنه سيهبها غلامًا بدون زوج!!

ولما شاء الله تعالى أن تقع هذه المعجزة جعل تعالى ذلك الأمر هينًا يسيرًا: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ (مريم: ٢١) أي: قال جبريل لمريم: كذلك الأمر حكم ربك به، وإن ذلك الأمر لهين يسير بالنسبة لقدرة الله.

وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ (آل عمران: ٤٧) أي: هكذا أمر الله العظيم الذي لا يعجزه شيء، يوجد الجنين من خلال الوالدين، وبغيرهما، فقد خلق آدم من تراب، ولم يكن له أب أو أم، وخلق حواء من آدم، فكأنها من ذكر بغير أنثى، فهل يعجز الله أن يخلق عيسى – عليه السلام – من أنثى بغير أب، فالله إذا أراد شيئًا حصل من غير تأخير، ولا حاجة إلى سبب، فقط يقول: كن فيكون.

إشكال: قال جبريل: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ (مريم: 19)، **والإشكال هنا: قول جبريل:** ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ (مريم: 19)، **فإن ظاهر الآية يدل أن الذي وهب الغلام الزكي لمريم هو جبريل!!**

الجواب: في قراءة متوترة قرأ بها أبو عمر، وأيضًا هي عن نافع عن طريق ورش: " ليهب لك غلامًا زكيًا"، وهذه القراءة واضحة في تحديد من الذي وهب الغلام لمريم؟

أما القراءة الأخرى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ (مريم: 19) لا شك أن جبريل – عليه السلام – لا يهب من عند نفسه، وإنما ذلك موكل إلى الله تعالى، لكن لما كان إرساله من الله تعالى عبّر جبريل: بأنه سيهب مريم غلامًا؛ لأنه هو السبب في حدوث الحمل، فأضاف جبريل ذلك إلى نفسه لهذا المعنى.

قال الأنصاري: " وتقدير الكلام: إنما أنا رسول ربك، يقول لك: أرسلت رسولًا إليك لأهب لكِ غلامًا، فيكون حكاية عن الله، لا من قول جبريل." (زكريا الأنصاري: 2003)

الحاصل: استسلمت مريم البتول لأمر الله تعالى، فسلّها جبريل بأن بين لها الحكمة من هذا الحمل بهذه الطريقة العجيبة المعجزة، فقال: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ (مريم: ٢١) أي: ليكون مجيئه دليل قاطع على كمال قدرة الله العظيمة، ودليل على أن الأسباب لا تستحوذ بالتأثير، وإنما التأثير الحقيقي يكون

بتقدير الله تعالى، فلما الناس يروا خرق الأسباب في بعض الأمور سيتأكدون بأن السبب لا تأثير له بدون تقدير الله وإذنه.

وسلّها جبريل كذلك بقوله: ﴿وَرَحۡمَةً مِّنَّا﴾ (مريم: ٢١) أي: سيكون هذا الغلام رحمة من الله.

وبالفعل صار عيسى – عليه السلام – رحمة وبركة لوالدته وللناس كافة، أما رحمته لوالدته: حيث حازت به شرف أمومة آخر أنبياء بني إسرائيل، ونالت شرف كفالته وتربيته، وأنها صارت معه آية للعالمين، ولما صدقت به وآمنت معه صارت صديقة كريمة.

وأما كون عيسى رحمة للناس: حيث بُعث لهم رسولًا، وداعيًا إلى الله بإذنه، وسراجًا منيرًا، فمن اهتدى بهديه رشد! ومن تمسك بأوامره سعد!

ثم ختم جبريل كلامه مع مريم بقوله: ﴿وَكَانَ أَمۡرًا مَّقۡضِيًّا﴾ (مريم: ٢١) أي: " كان وجود عيسى – عليه السلام – على هذه الحالة قضاءً سابقًا، فلا بد من نفوذ هذا التقدير والقضاء." (عبد الرحمن السعدي: ٢٠٠٠)

وانتهى الحوار بين الروح الأمين والعذراء البتول بـ ﴿فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا﴾ (مريم: 22) أي: فحملت مريم بعيسى، وتباعدت به مكانًا بعيدًا عن الناس.

كيف حملت مريم بعيسى؟!

جاء حمل مريم بعيسى بطريقة عجيبة ربانية، حيث نفخ جبريل – عليه السلام – في درع مريم (والدرع: أي جيب الثوب، وجيب الثوب: هو شق الثوب الذي يكون في الصدر) فحملت بعيسى فورًا.

قال ابن كثير: " ذكر غير واحد من السلف: أن جبريل نفخ في جيب درعها، فنزلت النفخة إلى فرجها، فحملت من فورها، كما تحمل المرأة عند جماع بعلها، ومَنْ قال: إنه نفخ في فمها، أو أن الذي كان يخاطبها هو الروح الذي ولج فيها من فمها، فقوله خلاف ما يفهم من سياقات هذه القصة في محالها من القرآن، فإن هذا السياق يدل على أن الذي أرسل إليها ملك من الملائكة، وهو جبريل عليه السلام، وأنه إنما نفخ فيها، ولم يواجه الملك الفرج بل نفخ في جيبها، فنزلت النفخة إلى فرجها،

فانسلكت فيه، كما قال تعالى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ (التحريم: ١٢)، فدلّ على أن النفخة ولجت فيه لا في فمها، كما رواه السدى بإسناده عن بعض الصحابة." (ابن كثير: ٢٠٠٢)

إشكال: يقول تعالى: ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ (الأنبياء: 91) **والإشكال هنا: الآية ظاهرها يدلّ على أن الذي قام بالنفخ هو الله تعالى!!**

الجواب: التعبير بـ (فنفخنا)، لا منافاة فيه أن يكون جبريل هو النافخ، إذ إن الله تعالى هو الآمر لجبريل بالنفخ، فنفخ؛ لذا عبّر القرآن بقوله: (فنفخنا) أي: أمرنا بالنفخ، وليس الله تعالى هو الذي نفخ.

كم كان مقدار حمل مريم بعيسى؟

لما كان حمل مريم بعيسى حملًا عجيبًا فقد أطلق القصاصون فيه خيالهم، فذكروا عجائب في مقدار هذا الحمل، قال ابن كثير: " عن ابن عباس وعكرمة أنها حملت به ثمانية أشهر، وعن ابن عباس ما هو إلا أن حملت به فوضعته، وقال بعضهم: حملت به تسع ساعات." (ابن كثير: ٢٠٠٢)

وهذا التحديد لمقدر حمل مريم بعيسى ما هو إلا من تخرصات القصاصين وعجائب أقوالهم؛ **لذا الصحيح المتعين:**

أن مقدار حمل عيسى كان مقدار الحمل الطبيعي وهو تسعة أشهر، قال ابن كثير: " الظاهر أنها حملت به تسعة أشهر كما تحمل النساء ويضعن لميقات حملهن ووضعهن، إذ لو كان خلاف ذلك لذكر." (ابن كثير: ٢٠٠٢)

إشكال آخر: قال تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ۝٢٢ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ (مريم: ٢٢- 23)، والإشكال هنا أن الفاء تفيد الترتيب مع التعقيب بلا تراخي، فيكون المعنى: أن حمل عيسى كان سريعًا!!

وأجاب ابن كثير عن هذا الإشكال بقوله: " الصحيح أن تعقيب كل شيء بحسبه كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (الحج: ٦٣)، وكقوله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ (المؤمنون: ١٤)، ومعلوم أن بين كل حالتين أربعين يومًا كما ثبت في الحديث المتفق عليه." (ابن كثير:٢٠٠٢)

اعتزال مريم - عليها السلام - قومها:

عندما حملت مريم بعيسى – عليه السلام – اعتزلت قومها خوفًا من اتهامها بالزنى، قال تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ (مريم: ٢٢) أي: لما حملت مريم بعيسى جنينًا في بطنها، اعتزلت قومها مكانًا بعيدًا عن العيون، وحرف الفاء وإن كان يستخدم للترتيب والتعقيب غالبًا، فإنه ههنا له وظيفية جديدة، حيث يشعرك بتعليل انعزالها عن قومها!

أين اعتزلت مريم قومها؟

اعتزلت مريم قومها في مكان قصي، والجمهور يقولون: كان هذا المكان بيت لحم بفلسطين، وقد وصف الله هذا المكان بقوله تعالى: ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ (المؤمنون: 50) أي: وجعلنا لمريم وابنها مأوى في مكان مرتفع من الأرض، مستو للاستقرار عليه، وفيه خصوبة وماء جار ظاهر للعين، ولا شك أن هذا المكان الجميل، والطعام الشهي، والشراب الهنئ، سيرفع من حالة مريم النفسية المتعبة.

هل شعر قومها بحملها؟

قال ابن كثير: " قال محمد بن إسحاق: شاع واشتهر في بني إسرائيل أنها حامل، فما دخل على أهل بيت ما دخل على آل بيت زكريا." (ابن كثير: ٢٠٠٢)

وعن وهب بن منبه: " أنها لما ظهر عليها مخايل الحمل، كان أول من فطن لذلك رجل من عباد بني إسرائيل يقال له: (يوسف بن يعقوب النجار)، وكان ابن خالها، فجعل يتعجب من ذلك عجبًا شديدًا، وذلك لما يعلم من ديانتها ونزاهتها وعبادتها، وهو مع ذلك يراها حبلى، وليس لها زوج، فعرض لها ذات يوم في الكلام فقال: يا مريم هل يكون زرع من غير بذر؟

قالت: نعم، فمتى خلق الزرع الأول، فقال: فهل يكون ولد من غير ذكر؟ قالت: نعم، الله خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى، قال لها: فأخبريني خبرك، فقالت: إن الله بشرني بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا." (ابن كثير: ٢٠٠٢)

وذكر السدي: " أن مريم دخلت يومًا على أختها، فقالت لها أختها: أشعرت أني حبلى؟ فقالت مريم: وشعرت أيضًا أني حبلى؟ فاعتنقتها، وقالت لها أم يحيى: إني أرى ما في بطني يسجد لما في بطنك." (ابن كثير:٢٠٠٢)

وقال الصابوني: " يقول المؤرخون: إن مريم لما أحست بالحمل، وخشيت اتهام قومها لها بالزنى، وافقت على خطبة يوسف النجار لها، وقد كان هذا رجلًا بارًا صالحًا من بيت داود من أبناء عمها ...، ثم إن مريم – عليها السلام – كاشفت يوسف خطيبها بما جرى لها من الحمل دون أن يمسها بشر، وأخبرته ببشارة جبريل لها، فعزم على أن يترك خطبتها شكًّا بأمرها، وبينما هو نائم إذ بملك من ملائكة الرحمن يوبخه، قائلًا له: لماذا عزمت على إبعاد امرأتك؟

اعلم إن ما كُوّن فيها إنما كُوّن بمشيئة الله، وستلد العذراء ابنًا وستدعونه (يسوع) ...، فلما استيقظ يوسف من النوم شكر الله، وأقام مع مريم كل حياته خادمًا بكل إخلاص." (محمد الصابوني)

فهذه الآثار تدلّ على أن قوم مريم قد شعروا بحملها، ولكن هذه الآثار مأخوذة من الإسرائيليات التي لا تصح عندنا، هذا من جهة، ومن جهة أخرى النصوص الصحيحة للقصة في محالها من القرآن تعارضها، فمريم – عليها السلام – قد احتاطت لئلا يعرف قومها حملها بأن اعتزلتهم، والمفاجأة التي حصلت لقومها لما شاهدوا الغلام على يديها يدلك أنهم لم يعرفوا بحملها، إذ لو عرفوا بحملها لما تفاجأوا بالغلام على يديها.

لذا الصواب: إن قوم مريم لم يشعروا بحمل مريم، والله أعلم.

ولادة عيسى عليه السلام:

استمرت مريم في حملها، وهي ما زالت معتزلة أهلها، خشية الاتهام بالفاحشة، ولما تمت مدة الحمل، وحضرت ساعة الوضع، لك أن تتخيل حال هذه الفتاة العذراء الضعيفة وقتئذ!!

فإن قلنا أنها قد عمتها وحشة وهلع وفزع، لم نكن وصفنا حالها وصفًا تامًا!!

فالكلمات تعجز عن وصف ما أَلَمَ بها من آلام جسدية ونفسية، أما آلامها الجسدية يُشعرك بها قوله تعالى: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ (مريم: 23) أي: " فألجاها ألم الطلق وشدة الولادة إلى ساق نخلة يابسة؛ لتعتمد عليها عند الولادة." (محمد الصابوني)

وأما آلامها النفسية، والتي فاقت آلامها الجسدية بمراحل، تشعر بها في قولها: ﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ (مريم: 23) أي: قالت مريم: يا ليتني كنت قد مت قبل أن أشهد هذا اليوم، وكنت شيئًا تافهًا مطروحًا يرمى ولا يعرف ولا يذكر.

وتأمل: تمنت مريم الموت رغم أنها علمت ما جرى بينهما وبين جبريل من الوعد الكريم، وذلك يُشعرك بحجم معانتها

النفسية، التي قد أصابتها جراء هذا الموقف العصيب، فخوف الشريفة العفيفة من اتهام عفتها بالسوء والرذيلة أَلَمٌ لا يعادله أَلَم!! وجرح لا يندمل!!

قال ابن كثير: " وذلك أنه علمت أن الناس يتهمونها ولا يصدقونها، بل يكذبونها حين تأتيهم بغلام على يدها، مع أنها قد كانت عندهم من العابدات الناسكات المجاورات في المسجد المنقطعات إليه، المعتكفات فيه، ومن بيت النبوة والديانة، فحملت بسبب ذلك الهمّ، ما تمنت أن لو كانت ماتت قبل هذا الحال، أو كانت نسيًا منسيًا أي: لم تخلق بالكلية." (ابن كثير: 2002)

ولما كان الخير والمصلحة ببقاء هذا الحمل وحدوث هذا الميلاد لم يستجب الله دعاءها، بل دام وحصل.

تنويه: يعتقد النصارى أن نجمًا كبيرًا ظهر في السماء يوم ولادة عيسى عليه السلام، وهذا من ضلالات النصارى وبدعهم.

رعاية الله تعالى لمريم النفساء:

الله تعالى رحيم بعباده، ورحمان بأوليائه، فالله الرحمن الرحيم ما كان أن يترك مريم وحدها في هذا الموقف العصيب تقاسي

هذه الآلام، وتتجرع هذه المرارات، فأرسل إليها برسائل إلهية تحمل لها السكينة والطمأنينة، قال تعالى: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ٢٤ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ٢٦﴾ (مريم: 24– 26)

وإليك تفصيل هذه الرسائل:

الرسالة الأولى: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ﴾ (مريم: 24)

فمن هذا الذي ناداها؟

اختلف المفسرون فيه على قولين مشهورين، هما:

الأول: هو جبريل.

الثاني: هو عيسى.

والصواب: القول الأول، فالذي ناداها من تحتها هو الروح الأمين جبريل عليه السلام.

وبِمَ ناداها جبريل؟

ناداها: ﴿أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا﴾ (مريم: 24) أي: لا عليك اليوم من حزن ولا شقاء، ولا تهتمي لهذا

الأمر، وحتى تطمئني انظري تحتك فقد جعل ربك نهرًا صغيرًا يجري أمامك.

هكذا ناداها جبريل، فكان قوله لها كالبلسم على جروحها الغائرة، فوقعت كلماته عندها أعظم موقعًا، ولم يكن هذا القول من جبريل من قبيل المصادقة، إنما هو تقدير العزيز الرحيم.

حيث أثبت الدراسات الحديثة أن حالة الأم النفسية في غاية الأهمية لها ولجنينها، فقد وجد العلماء والأطباء أن حزن الأم يضرّ بالجنين.

الرسالة الثانية: لما كانت مريم في شدة الاعياء والتعب بسبب الميلاد والوضع، إذ بالرسالة الثانية تصلها: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾ (مريم: 25) أي : حركي جذع هذه النخلة الشامخة، **فماذا ستكون النتيجة؟!**

﴿تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾ (مريم : 25) أي: يتساقط عليك الرطب الناضج الشهي الطري، وتأمل كلمة (تساقط) ألا توحي بكثرة الرطب النازل عليها؟!

وتأمل كذلك: الطعام الذي اختاره الله لمريم وهو الرطب، أليس هذا هو الاختيار الأفضل لمريم؟

بلى، فقد أشار العلم الحديث إلى أهمية تناول الرطب للأم النفساء، حيث بين الأطباء أن في الرطب الفيتامينات والسكريات التي تحتاجها الحامل والنفساء على السواء، ويحتوي الرطب على عناصر تعين على تقليل دمّ النفاس والتئام الرحم، ومن قبل العلم الحديث قال عمرو بن ميمون: " ليس أجود للنفساء من التمر والرطب، ثم تلا هذه الآية." (ابن كثير:2002)

لذا لا عجب أن تكون الرسالة الثالثة: أمرًا إلهيًا بالأكل من هذا الرطب، قال تعالى: ﴿فَكُلِى﴾ (مريم: 26) أي: كلي من هذا الرطب المتساقط عليك، كما وأمرها بالشرب من الجدول الذي أمامها ﴿وَٱشْرَبِى﴾ (مريم: 26) أي: اشربي من الماء العذب الذي يجري أمامك.

فكان إطعامها وشرابها بهذه الهيئة المعجزة تسلية لها ونسيان لحزنها، حيث إن الذي أطعمها وسقاها بهذا الشكل المعجز حتمًا سيجعل لها فرجًا ومخرجًا مما هي فيه!

ولما كان حزنها ليس لفقدان الطعام والشراب، قال لها جبريل: ﴿وَقَرِّى عَيْنًا﴾ (مريم: 26) أي: " وطيبي نفسًا بهذا المولود ولا تحزني." (محمد الصابوني)

لطيفة: قال الدرويش: " وفي وصف العين بذلك تأويلان: أولهما: أنه مأخوذ من القر، وهو البرد، وذلك أنَّ العين إذا فرح صاحبها كان دمعها باردًا، وإذا حزن كان دمعها حارًا، ولذلك قالوا في الدعاء عليه: أسخن الله عينك.

والثاني: أنه من الاستقرار، والمعنى أعطاه الله ما يسكن عينه، فلا تطمح إلى غيره." (محيي الدين الدرويش: 2001)

وبالفعل امتثلت مريم أمر ربها – كسابق عهدها – فأكلت من الرطب المتساقط عليها، وشربت من الماء الجاري أمامها، وأخذت تطمئن نفسها بأن الله الذي أنعم عليها بهذه النعم، لن يتركها وحدها تقاسى لوم قومها بسبب مولدها هذا الذي جاء بلا أب**!!**

يا الله ما أرحمك**!!** أطعمت مريم وأسقيتها، وجعلت مولودها قرة عينها، فالحنان منك يا الله لا يشبهه حنان**!!**

وتأمل ثانية: قوله تعالى: ﴿فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗا﴾ (مريم: 26) ستجد أن الأكل والشراب مع أهميتهما ليسا هما قرة العين، وإنما قرة العين شيء آخر.

فقرة العين شيء عزيز لا سيما للنساء، اقرأ الآيات الآتية:

﴿فَرَدَدۡنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَ وَلِتَعۡلَمَ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ (القصص: 13)

وقوله تعالى: ﴿فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗا﴾ (مريم: 26)

وقوله تعالى: ﴿تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ مِمَّنۡ عَزَلۡتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ وَلَا يَحۡزَنَّ وَيَرۡضَيۡنَ بِمَآ ءَاتَيۡتَهُنَّ كُلُّهُنَّۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمٗا ٥١﴾ (الأحزاب: 51)

أليست هذه الآيات كلها تتحدث عن المرأة؟!

ألم تلحظ أن قرار أعينهن عزيز عند الله!!

وتأمل كذلك: كم أخذ الوقت بين ضيق مريم وفرجها سوى ما بين قولها: ﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا﴾ (مريم: 23)، وقوله تعالى لها: ﴿فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗا﴾ (مريم: 26)!!

الرسالة الرابعة: لما كان الناس منذ الأزل متعبين، ولا بد أن يكونوا متسائلين متعنتين، فقد أمر الله سبحانه مريم: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ

مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا﴾ (مريم: 26) أي: إن شاهدت أحدًا من قومك لا سيما الثقلاء السمجاء، وسألك عن هذا المولود، فقولي: ﴿إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا﴾ (مريم: 26) أي: إني نذرت هذا اليوم سكوتًا وصومًا لله، وهذا من لطف الله بها، فقد عذرها من البوح، فإن الحزين تثقله الكلمة!

وفي هذا الأمر الإلهي – أيضًا – تشريع كراهية مجادلة السفهاء الثقلاء السمجاء، ولله در القائل:

يخاطبني السفيه بكل قُبْح　　وأكرهُ أن أكونَ له مُجيبا

ويا العجب!! مريم كانت خائفة ألا تستطيع اقناع قومها وهي متكلمة بالأمس، فكيف ستقنعهم وهي صامتة اليوم؟!

إنه امتحان التوكل!!

والذي قد نجحت فيه مريم نجاحًا عظيمًا!!

الحاصل: لما تعافت مريم من نفاسها، وأصلحت من شأنها، وقويت بعد ولادتها، جاءت به إلى قومها، ومن غير طلب منهم، قال تعالى: ﴿فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥ﴾ (مريم: 27) أي: أتت به قومها تحمله علنًا غير هائبة أو خائفة، بل واثقة ثابتة! والباء في (به) للمصاحبة.

اتهام مريم عليها السلام:

شاهد قوم مريم مشهدًا ما كان يمكن أن يدور بخلدهم فضلًا عن يشاهدوه بأمّ أعينهم، شاهدوا مريم وهي تحمل غلامًا صغيرًا، فأخذهم العجب كل العجب، واستنكروه أي استنكار، حيث إنهم يعلمون أنها ليست بذات زوج، فجزموا أنها قد جاءت به من وجه آخر، فقالوا: ﴿يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾ (مريم: 27) أي: فلما رأوها وابنها أعظموا أمرها، واستنكروه، وقالوا لها: " لقد جئت شيئا عظيما منكرًا." (محمد الصابوني)

والفرية هي: " الفعلة المنكرة العظيمة من الفعال والمقال." (ابن كثير: 2002)

ويقصدوا بالفرية هنا: الزنى وحاشاها ذلك!!

ولاموه قائلين: ﴿يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ (مريم: 28) أي: يا أخت هارون!! لم نعرف عن أبويك إلا كل خير وبرّ!! فإنهما صالحان سالمان من السوء والشرّ، خاصة هذا الشرّ المستطير، ومقصدهم من هذا الكلام: كيف كنت على غير وصفهما؟ وكيف أتيت بما لم يأتيا به؟ وذلك أن الذرية غالبًا يكون بعضها من بعض في الصلاح والفساد.

مَنْ هارون هذا الذي نسبوا مريم إليه؟

ذُكر: هو هارون النبي أخو موسى عليهما السلام، قال محمد بن كعب القرظي: " مريم هي أخت موسى وهارون نسبًا." (ابن كثير: 2002)

وذكر السهيلي: " هارون رجل من عباد بني إسرائيل المجتهدين، كانت مريم تُشبّه به في اجتهادها." (محمد الصابوني)

ولكن الصواب إن شاء الله: هارون المذكور في هذه الآية ليس هو النبي الكريم أخو موسى، وليس – أيضًا – أحد عباد بني إسرائيل، إنما هارون الذي نسبت إليه مريم هو أخ لها حقيقي اسمه هارون، ويبدو أنه كان مشهورًا بالصلاح والاستقامة فشبهوها به، وذلك ما يقتضيه ظاهر النص، والله أعلم.

روى عن المغير بن شعبة أنه قال: " بعثني رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى نجران، فقال لي أهل نجران: ألست تقرؤون هذه الآية: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا﴾ (مريم: 28)، وقد عرفتم ما بين موسى وعيسى؟ فلم أدرِ ما أرد عليهم، حتى قدمت المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكرت ذلك له، **فقال لي: أفلا**

أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بالأنبياء الصالحين قبلهم." (رواه ابن حبان: 6250) حديث صحيح.

الحاصل: إن قوم مريم قد أخذهم كل العجب كيف وقع ذلك من مريم؟! وهي مَنْ هي!! وهي من بيت عفاف وطهر!!

إشارة مريم إلى عيسى عليهما السلام:

وجدت مريم نفسها في موقف لا تحسد عليه، حيث نظرات الاتهام تلتهما، وإشارات الريبة تحزنها، وأقوال البهتان تجرحها.

فما كان منها إلا أن: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ (مريم: 29) أي: لم تجبهم بل أشارت إلى عيسى الرضيع ليسألوه، وكأن لسان حالها يقول: وجهوا كلامكم لهذا الرضيع، فإنه سيخبركم بالحقيقة الكاملة.

لِمَ لَمْ تجبهم مريم – عليها السلام – بنفسها؟

يحتمل لئن نذرها الذي نذرته (أنها لن تتكلم مع أي انسان) لازال ساريًا، ويحتمل حتى يكون كلام مولدها آية وبرهان قاطع على صدقها، ولعل الاحتمال الثاني هو الأقرب.

على كل حال: لما أشارت مريم إليهم بتكليمه تعجبوا من ذلك أكثر من تعجبهم من مجيئها به، وعبروا عن تعجبهم هذا بقولهم:

﴿كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا﴾ (مريم: 29) أي: كيف نكلم طفلًا رضيعًا، والعادة جرت ألا يتكلم أي طفل في سنّه؟! فما هذا منك إلا على سبيل الهزء بنا، إذ لا تردين علينا جوابًا بل وتحلين الجواب إلى من كان في المهد صبيًا!

ما المقصود بالمهد؟

المهد: اسم للمضطجع الذي يهيأ للصبي في رضاعه.

كيف عرفت مريم أن عيسى سيخبرهم بحقيقة الأمر؟

ذُكر: أنها عرفت ذلك لمّا كلمها عيسى عند ولادته، وقال لها: ﴿أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا﴾ (مريم: 24)، وهذا القول بعيد، حيث الصواب أن الذي تكلم بهذا هو جبريل، فيحتمل أنها علمت ذلك إلهامًا من الله، والله أعلم.

عيسى يتكلم في المهد:

ما أن أشارت مريم إلى عيسى ليكلموه إلا أن أنطقه الله تعالى، **فماذا قال عيسى؟**

قال عيسى: ﴿إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ﴾ (مريم: 30) فأول ما تفوه به عيسى أن وصف نفسه بما يشرف به الإنسان، وهو العبودية لله.

وفي قول عيسى السابق إشارة قوية إلى كل من ادعى ربوبية عيسى أن المستحق للربوبية التامة هو الله تعالى وحده.

ثم أخذ عيسى يعدد نعم الله عليه، فقال: ﴿ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾ (مريم: 30) أي: " قضى ربي أن يؤتيني الإنجيل ويجعلني نبيًّا." (محمد الصابوني)

وتأمل: ذكر عيسى – عليه السلام – الفعل الماضي (آتاني) دون الفعل المضارع (يأتيني) وذلك لإفادة تحققه، فإن ما قصّ الله به أزلا لا بد أن يقع، وهذا التعبير له نظائر كثيرة في القرآن الكريم، مثل:

قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (النحل: 1)

وقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ (الزمر: 68)

ويستمر عيسى الرضيع في الحديث مع قومه، ويقول: ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ (مريم: 31) أي: جعل الله

فيّ البركة والنفع والخير للناس حيثما نزلت وحللت، فكلّ من خالطني نالته بركة عظيمة، وسعد بي سعادة كبيرة.

ويستمر الكلام من قبل عيسى الرضيع: ﴿وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ (مريم: 31) أي: أوصاني الله بالمحافظة على عبادتين عظيمتين، هما: الصلاة، والزكاة، وذلك مدة حياتي كلها.

لِمَ خَصّ عيسى – عليه السلام – هاتين العبادتين بالذكر بالذات دون سائر العبادات؟

خَصّ عيسى – عليه السلام – هاتين العبادتين بالذكر بالذات دون سائر العبادات؛ لئن الصلاة من أعظم وظائف العبد المتعلقة بحق الله، والزكاة تعد من أعظم حقوق الناس.

كما تشمل هاتان العبادتان على فوائد عظيمة للإنسان والمجتمع، فهما يطهران الإنسان والمجتمع من الأخلاق الرذيلة، كما يجعلان الروح تسمو وترقى، إلى غير ذلك من الفوائد والمقاصد.

تساؤل: كيف أمر الله تعالى عيسى بالصلاة والزكاة مع أنه كان طفلًا غير مكلف؟

قال الأنصاري: " لا يدل ذلك على أنه أوصاه بأداء ذلك في

الحال، بل أوصاه في الحال بالأداء بعد البلوغ والتمييز." (زكريا الأنصاري: 2003)

ولازلنا مع حديث عيسى الرضيع مع قومه: ﴿وَبَرَّا بِوَالِدَتِي﴾ (مريم: 32) أي: أوصاني الله أيضًا أن أبر والدتي، ولم يقل عيسى: (وبرًا بوالدي)؛ لأنه لا والد له سواها.

وقال عيسى: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ (مريم: 32) أي: ولم يجعلني متكبرًا على الله، أو على أحد من خلقه، ولم يجعلني شقيًا في دنياي وآخرتي.

ولمّا أتمّ عيسى – عليه السلام – ذكر محامد الخصال والخلال التي منحها الله له، قال: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ (مريم: 33) أي: من فضل ربي وكرمه عليّ أن حصلت ليّ السلامة التامة من الشرّ والشيطان يوم ولادتي ويوم موتي ويوم بعثي، وفي سلامة عيسى من الأهوال في هذه الأيام وغيرها إشارة بليغة من الله تعالى إلى الناس لا سيما الذين ادعوا الربوبية لعيسى، أن المستحق للربوبية التامة هو الله تعالى وحده، إذ لو عيسى كان كما يدعون أنه إله أو ابن الإله أو ثالث ثلاثة لما حدثت له هذه الأهوال أصلًا!!

هكذا يختم عيسى – عليه السلام – كلامه لقومه بإعلان عبوديته لله، فليس هو إلهًا، ولا ابن إله، ولا ثالث ثلاثة كما يزعم النصارى، أنما هو عبد الله ورسوله، يحيا ويموت كسائر البشر خلقه الله من أم دون أب؛ ليكون آية على قدرة الله الباهرة؛

تساؤلان:

1. جاء لفظ (السلام) في قصة يحيى منكرًا ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ١٥﴾ (مريم: ١٥)، بينما جاء لفظ (السلام) في قصة عيسى مُعرفًا ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾ (مريم: ٣٣)، **فما السر في ذلك؟**

قال الأنصاري: " قال هنا في قصة يحيى منكرًا، وقال بعدُ في قصة عيسى معرفًا؛ لئن الأول من الله، والقليل منه كثير." (زكريا الأنصاري: 2003)

2. **لِمَ خَصّ عيسى هذه المواطن بالذكر دون غيرها؟**

خصّ تعالى هذه الأوقات بالذكر بالذات دون غيرها؛ لأنها أحوج الاوقات إلى الرعاية من الله من غيرها.

قال ابن عطية: " حيّاه في المواطن التي يكون الإنسان فيها غاية الضعف، والحاجة، والافتقار إلى الله." (محمد الصابوني)

وقال سفيان بن عيينة: أحوج ما يكون المرء في ثلاث مواطن: يوم يولد فيرى نفسه خارجًا مما كان فيه، ويوم يموت فيرى قومًا لم يكن عاينهم من قبل، ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر عظيم.

الحاصل: ما أنهى عيسى كلامه مع قومه حتى عقب الله تعالى مباشرة، فقال: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ﴾ (مريم: 34) أي: " ذلك هو القول الحق في عيسى ابن مريم، لا كما يصفه النصارى من أنه ابن الله، أو ما يقوله اليهود: من أنه ابن زنى، ويشكون في أمره ويمترون." (محمد الصابوني)

ثم يذكر الله تعالى الحقيقية الساطعة الدامغة: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾ (مريم: 35) أي: ما ينبغي ولا يليق أن يكون لله ولدًا؛ لئن ذلك من الأمور المستحيلة؛ لأنه الغني الحميد المالك لجميع الممالك، فكيف يتخذ من عباده ومماليكه ولدًا؟

وتأمل: جاءت كلمة (ولد) نكرة في سياق النفي، لتأكيد نفي الولد عن الله تعالى.

كما أكد تعالى على تنزيهه نفسه الشريفة عن الولد، فقال: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥٓ﴾ (مريم: 36) أي: تنزيهًا لله عن الولد والشريك والنقص، ثم بكت تعالى الوثنيين الجاهلين، فقال: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ (مريم: 36) أي: إذا أراد الله أمرًا من جميع الأمور صغيرها أو كبيرها لا يمتنع عليه ولم يستصعبه؛ لئن كل الأمور تخضع لسلطانه وتحت حكمه وقضائه، إذا حكم الله أمرًا يكفي أن يقول له: كن فيكون، بدون مناقشة أو مراجعة، وبدون قبول أو ردّ، وبدون تراضي أو قهر، وبدون تعب أو معاناة.

فمن كان هذا شأنه، فكيف قد توهمتم أيها الوثنيون الجاهلون أن يكون له ولدًا؟!

قال الصابوني : " قال المفسرون: وهذا كالدليل لما سبق، كأنه قال: إن اتخاذ الولد شأن العاجز الضعيف المحتاج الذي لا يقدر على شيء، وأما القادر الغني الذي يقول للشيء كن فيكون، فلا يحتاج في اتخاذ الولد إلى إحبال الأنثى، وحيث

أوجده بقوله كن، فلا يسمى ابنًا بل هو عبده، فهو تبكيت وإلزام لهم بالحجج الباهرة." (محمد الصابوني)

وتأمل: جاء الفعل (فيكون) بصيغة المضارع المقترن بالفاء دون الماضي (فكان)؛ لئن التعبير بالمضارع فيه تصوير وإحضار للصورةِ الواقعة كما وقعت، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، الفعل المضارع أعطى معنى زائدًا عن الفعل الماضي، وهو أن الأمر الإلهي التكويني إذا صدر فإن متعلقه يكون حتمي الوقوع.

إنْ مِثْل عيسى عند اللّه كمثل آدم:

وقال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ (آل عمران: 59) فقد بين سبحانه وجه المماثلة في خلق آدم وعيسى، وهي: إن خَلقهما كان خَلقًا عجيبًا، بيد أن خلق آدم زاد في الإعجاز، حيث خُلق آدم من غير أب أو أمّ، أما عيسى فقد خلق من غير أب فقط، فمن الأغرب في خلقه منهما؟!

وهذا التشبيه يسميه البلاغيون: تشبيه الغريب بالأغرب منه.

وهذه الآية ترد على النصارى في قولهم: كيف يكون ابن دون أب؟ فضرب الله مثلًا بآدم الذي خلقه بلا أب أو أم، وذلك أغرب مما استبعدوه.

وهذه الآية ترد أيضًا على النصارى الذين اتخذوا عيسى ابن الإله، قال العدوي: " والمعنى: فإن استجزتم أن تتخذوا عيسى ابنًا لله – وحاشا لله – لكونه ولد من غير أب، فلتستجيزوا بطريق الأولى أن تتخذوا آدم ولدًا لله، ومعلوم بالاتفاق أن هذا باطل، فالدعوى في عيسى أشد بطلانًا وحاشا لله أن يتخذ صاحبة ولا ولدًا وسبحانه وتعالى عما يشركون." (مصطفى العدوي: 2002)

تساؤل: كيف شبه الله تعالى خلق آدم بخلق عيسى بالرغم من وجود فروق جوهرية بينهما، حيث خُلق آدم من تراب، بينما عيسى خُلق من كلمة (كن)، وآدم خلق من غير أب أو أم، بينما عيسى له أم؟!

قال الأنصاري: " المراد تشبيهه به في الوجود بغير أب، والتشبيه لا يقتضي المماثلة من جميع الوجوه." (زكريا الأنصاري: 2003)

الحاصل: أقام الله تعالى الحجة البينة بأنه واحد لا شريك له، لذا حسُن أن يقرر الله عقب ذلك: ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾ (آل عمران: 60) أي: ما ذكرناه لك يا محمد من خبر عيسى بأنه عبد الله ورسوله، ذلك هو الحق من ربك، فلا تكن من الشاكين في ذلك.

وتأمل المؤكدات الثلاثة على أن هذا هو الحق:

أولها: تعريف كلمة الحق.

ثانيها: كون هذا الحق من عند الله تعالى، فكل ما عند الله تعالى هو حق وصدق لا ريب فيه، وكفى بذلك تأكيدًا.

ثالثها: النهي عن الامتراء والشك في ذلك الحق الذي لا يمكن للعقلاء الشك فيه.

وهذه الحقيقية الساطعة هي نفس الحقيقة التي صدع بها عيسى أمام قومه وهو في المهد صبيًا: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾ (مريم: 36) أي: ومما أمر به عيسى قومه وهو في المهد أن الله هو ربه وربهم، وهو الربّ والإله، فأفردوه بالعبادة، وهذا هو الدين القويم الذي لا اعوجاج فيه.

بهذا يكون أنهى القرآن الحديث عن قصة ميلاد عيسى العجيب.

وصف عيسى عليه السلام:

جاءت السنة الشريفة الصحيحة بوصف وافٍ لشكل عيسى – عليه السلام – في أحاديث عدة، منها: قال صلى الله عليه وسلم: " **حين أسري بي لقيت موسى عليه السلام، فنعته النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا رجل، حسبته قال، مضطرب، رَجِلُ الرأس كأنه من رجال شنوءة، قال: ولقيت عيسى، فنعته النبي صلى الله عليه وسلم، إذا ربعة أحمر، كأنما خرج من ديماس، يعني حمامًا، قال: ورأيت إبراهيم صلوات الله عليه وسلم، وأنا أشبه ولده به.**" (رواه البخاري: (3437) ومسلم: (168))

ففي هذا الحديث وصف الرسول – صلى الله عليه وسلم – عيسى بأنه:

ربعة: أي: لا طويل ولا قصير.

أحمر: أي: لون بشرته يميل إلى الحمرة، وقيل الأحمر عند العرب الأبيض.

كأنه خرج من ديماس: أي خرج من البيت، أو النفق في الأرض، وقيل: الديماس هو الحمام، والمراد وصفه بصفاء اللون، ونضارة الجسم، وكثرة ماء الوجه.

وجاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم: " **رأيت عيسى وموسى وإبراهيم، فأما عيسى فأحمر جعد، عريض الصدر، أما موسى فآدم جسيم سبط، كأنه من رجال الزط.**" (رواه البخاري: 3438)

فقد زاد الرسول – صلى الله عليه وسلم – في وصف عيسى – عليه السلام – في هذا الحديث بأنه:

جعد: أي شديد الخلق، أو خشن الشعر.

وعن ابن عمر: **ذكر النبي – صلى الله عليه وسلم – يومًا بين ظهراني الناس المسيح الدجال، فقال: إن الله ليس بأعور إلا إن المسيح الدجال أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية، وأراني الليلة عند الكعبة في المنام، فإذا رجل آدم، كأحسن ما يرى من أدم الرجال، تضرب لمته بين منكبيه، رجل الشعر، يقطر رأسه ماء، واضعًا يديه على منكبي رجلين، وهو يطوف بالبيت، فقلت: من هذا؟**

فقالوا: هذا المسيح ابن مريم، ثم رأيت رجلًا وراءه جعدًا قططًا أعور العين اليمنى، كأشبه من رأيت بابن قطن، واضعًا

يديه على منكبي رجل، وهو يطوف بالبيت، فقلت: من هذا؟ قالوا: الدجال." (رواه البخاري: (3439)، ومسلم: (169))

ففي هذا الحديث وصف الرسول – صلى الله عليه وسلم – عيسى – عليه السلام – بأنه:

آدم: أي أسمر البشرة كأحسن ما يرى من الرجال المتصفين بالسمرة.

تضرب لمته بين منكبيه: واللمة هي الشعر إذا جاوز شحم الأذنين، والمنكب هو أعلى الظهر ما بين الكتف والعنق، أي يضرب الشعر الذي جاوز شحم أذنيه منكبيه.

رجل الشعر: أي قد سرح شعره ودهنه.

ويقطر رأسه ماء: أي هو نظيف جميل.

لطيفة: لِمَ وازن الرسول – صلى الله عليه وسلم – بين المسيح عيسى والمسيح الدجال في الحديث السابق؟

قال ابن كثير: فبين صلوات الله وسلامه عليه صفة المسيحيين: مسيح الهدى، ومسيح الضلال؛ ليعرف هذا إذا نزل، فيؤمن به المؤمنون، ويُعرف الآخر فيحذره الموحدون." (ابن كثير: 2002)

وعند التأمل في هذه الأحاديث التي تصف شكل عيسى – عليه السلام – نجد بها تضاربات واضحة، حيث جاءت بعضها

واصفة لون عيسى بأنه أحمر، وفي بعضها أنه آدم (أي: أسمر البشرة)، كما جاء في بعضها يصف أن عيسى بأنه سبط الشعر، وفي أخرى أنه كان جعد الشعر.

فما الجمع بينهما؟!

قال الوابل: " أنه لا منافاة بين الحمرة والأدمة (السمرة الشديدة) لجواز أن تكون أدمته صافية." (يوسف الوابل: 1994)

" وأما كونه في رواية سبط الشعر، وفي أخرى جعد الشعر، والجعد ضد البسط، فيمكن أن يجمع بينهما، بأنه سبط الشعر، وأما وصفه بأنه جعد، فالمراد بذلك جعدوه في جسمه لا شعره وهو اجتماع اللحم واكتنازه." (يوسف الوابل: 1994)

الحاصل: عيسى – عليه السلام – رجل مربوع القامة، ليس بالطويل ولا بالقصير، أحمر البشرة، ناضر الجسم، صاف الوجه، جعد، عريض الصدر، سبط الشعر، له لمة قد رجلها ملأت ما بين منكبيه، نظيف، جميل.

اختلاف الناس في أمر عيسى عليه السلام:

لما كان أمر عيسى عجيبًا وغير مألوف ولادةً وتحدثًا في المهد وهو صغير، انقسم الناس في أمره على أقسام، قال تعالى:

﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡ﴾ (مريم: 37) أي: اختلف الناس في أمر عيسى على ثلاثة أقسام، **فما هذه الأقسام؟**

القسم الأول: قسم كفروا به وجفوه، وهم اليهود، ورموا أمه بالزنى مع يوسف النجار، وقالوا عنه أنه ولد زانية، واستمروا على كفرهم وعنادهم، وحاولوا قتله، حتى نجاه الله من كيدهم وشرهم.

القسم الثاني: قسم غلو فيه غلوًا كبيرًا، وهؤلاء هم النصارى، حتى لا تكاد تجد فرقة من فرق النصارى إلا وهي غارقة في الوهم في عيسى، وجمح بهم الخيال فيه جموحًا غريبًا، فطائفة قالت: هو الله!! بينما قالت طائفة ثانية: هو ابن الإله، وطائفة ثالثة قالت: هو ثالث ثلاثة!

وهذان القسمان ضالان بلا شك، وقد ذمّ الله مقالاتهم هذه، ونهاهم عنها، حيث قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾﴾ (النساء: 171)

وقد توعدهما الله بسبب ما افتروه بأشد الوعيد، فقال: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾ (مريم: 37)

أما القسم الثالث: هم الذين آمنوا به وصدقوه فيما قاله عن نفسه، أنه عبد الله ورسوله، وابن أمته، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وهؤلاء هم الناجون المنصورون الذين قال الرسول – صلى الله عليه وسلم – عنهم: " **من شهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل.**" وفي رواية زاد: " **من أبواب الجنة الثمانية أيهما شاء.**" (رواه البخاري: 3435)

عقيدة النصارى في عيسى ابن مريم عليه السلام:

لم تضل أمة من الأمم كما ضلت النصارى في عيسى ابن مريم عليه السلام، وقد نوه القرآن الكريم في مواضع عدة إلى هذا الضلال المبين، الذي ما أنفك عنه النصارى أبد الآبدين، قال

تعالى: ﴿صِرَاطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ (الفاتحة: 7)، و(الضالين) في هذه الآية يقصد بهم: النصارى.

فما من عقيدة من عقائد النصارى الأساسية إلا تراها وهي غارقة من أخمص قدميها حتى أعلى رأسها، في الغلو والضلال والاختلاق عمن سبقها، فطائفة اعتقدت أن المسيح هو: ابن الله، وعللوا ذلك لأنه خلق من روحه.

وطائفة اعتقدت أن المسيح هو: نفسه الله الذي تجسد في صورة يسوع، ونزل إلى الأرض؛ ليخلص الناس من آثامهم.

وهاتان الطائفتان انقرضتا أو تكادا، ولم يعد لهما أنصار أو معتقدون بهما يذكرون اليوم.

أما الطائفة الثالثة، وهم النسطورية والملكانية – وهي السائدة الآن – تعتقدت بالتلثيث، أي: الثلاثة واحد والواحد ثلاثة، فهم يعتقدون: " أن الإلهية مشتركة بين الله وعيسى ومريم، وكل واحد من هؤلاء إله، ولهذا اشتهر قولهم: الأب والابن والروح القدس." (محمد الصابوني)

فالله إله، وعيسى إله، ومريم إله!!

قال النجار: " فقد خلقوا لهم عقيدة هي أن الله مركب من ثلاثة أقانيم: الأب والابن والروح القدس، وهذه كلها واحد، فانحدر

الله الذي هو الأب أو الابن على اختلاف أقوالهم، وحلّ في مريم، وتجسد إنسانًا، وولد منها، وهو (يسوع)." (محمد الصابوني)

قال هراس: " الخلاصة أن جميع المذاهب المسيحية المعروفة الآن مهما اختلف في تحديد شخصية المسيح، فإنها مؤلهة له، ليس فيها من يدين الحق، الذي يجعل عيسى مجرد رسول من عند الله، وليس إلهًا ولا ابن إله، بل هو في معتقدهم الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس، وكلمة الله المتجسدة من مريم العذراء لخلاص العالم." (محمد هراس)

كيف حدث هذا الضلال المبين للنصارى؟

يقول ابن القيم: " إن أمرهم قد استقام على السداد نحو ثلاثمئة سنة، ثم أظهر آريوس مقالته، التي أنكر فيها لاهوت المسيح، وحكم بأنه مخلوق محدث، ليس مولودًا من الله، وأنه لا يساويه في الجوهر، وكان يعلل رأيه بقوله: كيف تتفق دعوى الإله مع جعل عيسى إلهًا أيضًا؟

فلم ترضَ مقالته هذه رجال الكنيسة، فمنعه بطريق الإسكندرية من دخول الكنيسة، ولعنه، فخرج آريوس إلى الإمبراطور قسطنطين يستعديه على ذلك البطريق، وتناظرا بين يديه.

فقال قسطنطين لآريوس: اشرح مقالتك، فقال: أقول إن الأب كان إذا لم يكن الابن، ثم أحدث الابن فكان كلمة له إلا أنه محدث، ثم فوض الأمر إلى ذلك الابن، فكان هو خالق السموات والأرض وما بينهما، ثم إن تلك الكلمة اتخذت بعد من مريم العذراء ومن روح القدس، فصار ذلك مسيحًا واحدًا، فالمسيح الآن كلمة وجسد إلا أنهما جميعًا مخلوقان.

فقال بطريق الإسكندرية: فأيما أوجب علينا عندك؟ عبادة من خلقنا أو عبادة من لم يخلقنا؟

قال آريوس: بل عبادة من خلقنا.

قال البطريق: فعبادة الابن الذي خلقنا وهو مخلوق أوجب من عبادة الأب الذي ليس بمخلوق، بل تصير عبادة الأب الخالق كفر أو عبادة الابن المخلوق إيمانًا." (محمد هراس)

ويقول هراس: " وقد استحسن الملك والحاضرون مقولة البطريق ومن معه، وأمر الملك أن يلعن آريوس وأهل ملته، فانتهز البطريق هذه الفرصة، وطلب من الملك أن يجمع جميع البطارقة والأساقفة على عقيدة واحدة." (محمد هراس)

وبالفعل جمع قسطنطين البطارقة والأساقفة، وقد بلغ عددهم نحو ألفان وثمانية وأربعون أسقفًا.

وكانوا مختلفي المذاهب والأهواء، وقد كثر بينهم اللغط، ولم يتفق إلا (318) أسقفًا على رأى، وناظروا باقية الأساقفة حتى ظهروا عليهم، فما كان من قسطنطين إلا أن سلطتهم على مملكته، وهؤلاء قد وضعوا عقيدة النصارى، فلا يكون عندهم نصراني حقًا من لم يقر بها، ولا يتم له قربان إلا بها، وهي:

" تؤمن بالله الواحد الأب مالك كل شيء صانع ما يرى، وما لا يرى، وبالرب الواحد يسوع ابن الله الواحد، بكر الخلائق كلها، الذي ولد من أبيه قبل العوالم كلها، وليس بمصنوع، إله حق من إله حق من جوهر أبيه، الذي بيده أتقنت العوالم، وخلق كل شيء، الذي من أجلنا معشر الناس، ومن أجل خلاصنا، نزل من السماء، وتجسد من روح القدس، وصار إنسانًا، وحمل به، ثم ولد من مريم البتول، وأولم وأوجع وقتل وصلب ودفن وقام في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين أبيه، وهو مستعد للمجيء مرة أخرى؛ للقضاء بين الأموات والأحياء، ونؤمن بروح القدس الواحد روح الحق، الذي يخرج من أبيه روح محبية ومعمودية واحدة؛ لغفران الخطايا، وبجماعة واحدة قدسية جابلنقية، وبقيامة أبداننا والحياة الدائمة أبد الآبدين." (محمد هراس)

ويقول هراس: " ثم تعددت مجامعهم بعد ذلك، وفي كل مرة يعلنون تمسكهم بهذه العقيدة الباطلة، ويزيدون عليها ضلالات

وافتراءات، ويلعنون ويكفرون كل من خرج عليها من أساقفهم." (محمد هراس)

المظاهر الوثنية في الديانة المسيحية:

يقول هراس: " إن التغيير الذي طرأ على المسيحية بعد رفع المسيح عليه السلام، كان تغييرًا جذريًا تناول المسيحية من أساسها، فلم يبق شيء مما جاء به المسيح معروفًا إلا بعض بقايا أخلاقية تتعلق بتهذيب النفس وضروب الزهد، وأما العقائد نفسها فقد تناولها كلها التبديل، ودخل إليها الفساد، بتأثير العناصر التي دخلت في المسيحية، وكانت قبل ذلك تدين بالوثنية، فما أن لبثت هذه العناصر أن بثت أفكارها وعقائدها في الدين الجديد، وتناولت نصوصه بالشرح والتأويل، الذي يجعلها متسقة مع عقائد الوثنية." (محمد هراس)

فعقائد المسيحية الآن، هي عقائد وثنية موجودة بشكل أو بآخر في غيرها من الديانات الوثنية، " وقد حاول بعض الباحثين أن يعقد موازنة بين عقيدة المسيحيين في المسيح، وبين ما يقوله الهنود الوثنيين في كرشنة، وقابل النصوص الدينية عند المسيحيين بمثلها عند الهنود، حتى بلغ من وجوه المقابلة بينهما

ستة وأربعين وجهًا، ثم قال في نهاية ذلك: وهذه شيء قليل من كثير اكتفينا به حبًّا للاختصار." (محمد هراس)

ومن مظاهر الوثنية والشركية في الديانة المسيحية:

1. **التلثيث:** وقد مرّ معنا ذكره.
2. **عقيدة الصلب والفداء لتخليص العالم من الخطيئة:**

عقيدة الصلب والفداء من ركائز دين النصارى، ولهذه العقيدة قصة طويلة مليئة بالعجائب والمتناقضات التي تجافي العقول السليمة، وخلاصتها:

" إن آدم حين عصى الله بالأكل من الشجرة، ووقع في الخطيئة، استحق هو وذريته العقوبة، وظلّ الرب يفكر في طريقة يجمع بها بين رحمته وعدله؛ لأنه إن عاتب آدم وذريته كان ذلك منافيًا لرحمته، وإن عفا عنهم كان ذلك منافيًا لعدله، وأخيرًا اهتدى إلى الحلّ وهو أن يفدي البشر بنفسه، فنزل في بطن أنثى من خلقه، وظلّ حبيسًا به مدة الحمل، ثم خرج وعاش دهرًا طويلًا بين الناس يأكل ويشرب ويلتذ ويألم، ثم مكن أعداءه من نفسه؛ ليقتلوه أشنع قتلة، ويصلبوه على الخشبة، وكل ذلك إنما تحمله من أجل أن يفدي خطيئة آدم وذريته." (محمد هراس)

وهذه الحماقة والبلاهة التي يضحك منها أبسط العقول والقلوب لا تستحق الردّ!!

وقد أحسن الشاعر حينما قال:

عجبًا للمسيح بين النصارى ... وإلى الله ولدًا نسبوه
أسلموه إلى اليهود وقالوا ... إنهم بعد قتله صلبوه
فإن كان ما تقولون حقًا ... وصحيحًا فأين كان أبوه
حين خلى ابنه رهين للأعادي ... أتراهم أرضوه أم أغضبوه
فإن كان راضيًا بأذاهم ... فأعذروهم لأنهم رافقوه
ولئن كان ساخطًا فاتركوه ... وأعبدوهم لأنهم غلبوه

3. عبادة الرهبان والأحبار والقديسين:

يقول هراس : " لم يقف النصارى في وثنيتهم عند هذا الحد من عبادة المسيح وأمه وروح القدس، بل تعدوا ذلك إلى عبادة الرهبان والقديسين، كما قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١﴾ (التوبة :٣١)" (محمد هراس)

كيف كانت عبادتهم لهؤلاء الرهبان والأحبار والقديسين؟

روي عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: " **أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئًا استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئًا حرموه.**" (رواه الترمذي: 3095) والحديث حسن.

وهناك وجه آخر لعبادتهم: حيث إنهم اتخذوا قبور أحبارهم ورهبانهم وقديسيهم كنائس، وملؤها بصور هؤلاء الرهبان والأحبار والقديسين، وأخذوا يتضرعون إليها، ويستشفون بها، ويعتقدون بأن روح المسيح قد حلت فيها.

يقول هراس: " وفي الكتاب الذي ألفه الكاتب الفرنسي كولان دي بلانس، وسماه قاموس الأضرحة والمقابر، وترجمه وعلق عليه الدكتور أمين رضا، فصول مثيرة عن كثرة الآثار المقدسة لدى المسيحيين، وعكوف عامتهم على الخضوع لها، حتى أنهم نسوا دعاء الله إلى جانب دعاء هذه الأضرحة والتماثيل." (محمد هراس)

وقد عدد هراس بعضًا من صور اتخاذ النصارى هذه القبور آلهة تعبد ويستشفى بها من دون الله:

- " يحكي أن فليب الطويل لم يشف من الحمى الرباعية إلا بعد أن لمس المسمار المقدس، وذراع القديس سيمون، الذي كان يعبده الناس في مدينة سان دنيس، وقد صنعت

هاتان البروكتان معجزة الشفاء أيضًا في دوق نورمانديا ابن الملك فليب دي فالو، مع أن شفاءه لم يتم إلى بعد ستة أسابيع، إلا أنه أصر على السفر إلى سان دنيس لتقديم الشكر." (محمد هراس)

- " كان المؤمن المخلص في إيمانه يعتقد أن من يستعمل الطب إنما يسب القديسين، وأن جميع الأمراض تشفيها مقدساتهم." (محمد هراس)
- إن نساءهم كانت تتهافت على الآثار المقدسة للقديسين، ويلبسنها كي يكتسبن بها بركة القديسين.
- بعض النصارى كان يسجد لبعض هؤلاء القديسين.
- كانوا يعتقدون بألوهية بعضهم، كاعتقاد بعض فرق النصارى أن الله هو عيسى ابن مريم.

الحاصل: " هذه كانت هي المسيحية الموجودة الآن في عقائدها وتصوراتها وأفعال أهلها، لا نكاد نلمح في تضاعيفها أثارة تربطها بأصلها الأول، بل هي ديانة جديدة من وضع قسطنطين، اتخذت من المسيح محورًا تدور حوله جميع عناصرها الوثنية." (محمد هراس)

والعجب أن تجد بعد كل ذلك من يؤمن بهذه العقائد الوثنية التي تجافي العقل السليم مجافة صارخة، وتتحداه تحديًا سافرًا،

بل ويتعصب لها، وصدق فيهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضلال.**" (رواه الترمذي: (2954)، واللفظ له، ورواه أحمد: (19400) مطولًا من حديث عدى بن حاتم))

ظهور المذهب العلماني:

لما حول الرهبان والأحبار والقديسون المسيحية إلى خرافات وخزعبلات قيدت الحياة ومنعت تقدمها، ضاق النصارى ذرعًا بهذه الخزعبلات والخرفات، حتى ما كان من المفكرين في أوربا إلا أن ثاروا في العصر الحديث على هذا الدين المسخ المبتدع، ودعوا إلى رفع سلطة الكنيسة عن الحياة، وجعلها سلطة لاهوتية داخل أروقة الكنائس والأديرة فقط، مما مهد ذلك لظهور المذهب العلماني بمثابة المحرر لهم من ربقة التأخر والرجعية التي فرضتها الكنيسة والقديسون، وكانت أول الدول تحولًا إلى العلمانية رسميًا هي فرنسا، وذلك في عام (1790م)، ثم انتشرت العلمانية في البلاد شرقًا وغربًا.

ما المقصود بالمذهب العلماني؟

كلمة علماني مصطلح غربي بحت، ورائد هذا المصطلح الفيلسوف الإنجليزي (جورج هوليوك)، وهو: مبدأ قائم على فصل الدين عن الدولة، والانكباب على الدنيا وشهواتها.

الحاصل: نجح المذهب العلماني في تخليص أوربا من قيود خرافات الكنيسة والقديسين، والنهوض بالمجتمع، وكان هذا نتيجة التخلص من قيود الكنيسة، وليس لجودة العلمانية.

ونظر بعض مدعي الفكر من المسلمين نظر إعجاب إلى المذهب العلماني، ويا للأسف ظنّ هؤلاء المنتسبين إلى الإسلام أن المذهب العلماني يصلح للاستيراد لإنقاذ البلاد الإسلامية من تأخرها وتخلفها ورجعيتها!

فدعوا إلى العلمانية بحرارة واجتهاد، وطالبوا بتحدي وإصرار أن يختفي الدين عن مظاهر الحياة، ويقصر دوره فقط في المساجد والعبادات وبعض المعاملات!

نقول: نعم، كانت ديانة قسطنطين الوثنية معول هدم لرقي الحياة، وقد نجح مفكرو أوروبا في إنقاذ حضارتهم من براثنها، ولكن لا يصح أبدًا أن يقاس ذلك على دين الإسلام الحقّ، فشتان بين تعاليم الإسلام السمحة الربانية وبين هذه الديانة الوثنية الغبية، فتعاليم الإسلام ومعتقداته لا تشكل بأي حال من

الأحوال ولا في أي وقت من الأوقات، معول هدم للمجتمع أو تأخر أو رجعية.

بل تعاليم الإسلام ومعتقداته تدفع المجتمع الذي يدين به إلى النهوض بالحياة والرقي بها، ويرى الإسلام أن أي فكرة تدفع إلى الكسل أو التواكل هي فكرة غبية يجب اجتثاثها، وعليه فالإسلام بتعاليمه ومعتقداته لم ولن يكون أبدًا حجر عثرة في وجه تقدم الحياة، وإنما هو حجر بناء في تقدم الحضارة للشعوب التي تدين به، وأدّل دليل على ذلك أنه كلما التزام المجتمع المسلم بتعاليم الإسلام كلما زادت حضارته ورقيه، فقد كان الإسلام كلمة السرّ في تقدم المسلمين في كل عصر من العصور التي ازدهروا فيها.

العقيدة الحقة في عيسى عليه السلام:

العقيدة الحقة في عيسى – عليه السلام – هي: أنه عبد الله ورسوله، وابن أمته العذراء البتول مريم عليها السلام، التي أحصنت فرجها، فبعث الله تعالى إليها الروح الأمين جبريل عليه السلام، فنفخ في جيب درعها، بأمر الله تعالى، نفخة روحانية مباركة، فحملت بولدها عيسى عليه السلام، فكان عيسى مولودًا

بلا أب، فكان بكلمة من الله، وروحًا منه، فعيسى هو كلمة الله التي ألقاها إلى مريم وروحٌ منه.

يقول هراس: " إن وجود ولد بلا أب ليس خارجًا عن نطاق القدرة الإلهية، ولا يوجب أبدًا نسبة هذا الولد إلى الله، فقد خلق الله آدم بلا أب ولا أم، وأعطى زكريا الولد على شيخوخة منه وعقم من امرأته، وكذلك وهب الله إسحاق لإبراهيم، وهو وسارة شيخان كبيران، وما ورد في الإنجيل من لفظ البنوة لا يوجب أن تكون بنوة حقيقة، وكذلك ما ورد فيه من تلقيب عيسى – عليه السلام – بأنه روح الله أو كلمته لا يقتضي أن يكون هو الله، ولا أن يكون جزءًا من الله." (محمد هراس)

وهذه عقيدة المسلمين في عيسى عليه السلام.

يتبقى مصطلحان يحتجان إلى تحرير، حتى لا تبقى أي شائبة في أمر عيسى، وهما: عيسى كلمة الله، وروح منه.

ما المقصود بـ (عيسى) كلمة الله؟

قال ابن كثير: " وسُمي عيسى بها؛ لأنه كان بها من غير أب، وهي الكلمة – أيضًا – التي عنها وبسببها وجد آدم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ

خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (آل عمران: ٥9)" (ابن كثير: ٢٠٠٢)

قال السعدي: " سُمي كلمة الله؛ لأنه كان بالكلمة من الله." (عبد الرحمن السعدي: ٢٠٠٠)

وقال هراس: " وأما كونه كلمة الله؛ فلأنه خُلق بالكلمة التي هي قوله تعالى: (كن) دون توسط الأسباب العادية." (محمد هراس)

فعيسى كلمة الله تعالى: لأنه خلق بكلمة من الله، وهي قوله تعالى: (كن) بدون توسط الأسباب العادية، وهي نفس الكلمة التي بها خلق آدم، قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (آل عمران: ٥9)

توضيح: عدم تسمية آدم بأنه كلمة الله لا إشكال فيه، حيث جاءت تسمية عيسى بكلمة الله بالنص الثابت، أما آدم لم يأت نص في ذلك، كما لم تثبت تسمية آدم بالكليم مع أنه قد كلمه الله كما ثبت في الآيات التي ذكرت قصته.

ما المقصود بعيسى روح من الله؟

قال الكحلوت: " للعلماء في تفسيرها أقوال:

- خلق بنفخ من روح الله جبريل عليه السلام.
- معناه: أن عيسى – عليه السلام – مؤيد بروح منه تعالى، وهو روح القدس جبريل.
- الأمران معًا.
- معناه: رحمة منه." (عدنان الكحلوت: ٢٠١١)

وقال ابن كثير: " والذي اتصل بها من الملك هي الروح المضافة إلى الله إضافة تشريف وتكريم، وهي مخلوقة من مخلوقات الله تعالى، كما يقال: بيت الله، وناقة الله، وعبد الله، وكذلك روح الله أضيفت إليه تشريفًا لها وتكريمًا." (ابن كثير: ٢٠٠٢)

وقال السعدي: أرسل الله جبريل – عليه السلام – إلى مريم، فنفخ في جيب درعها، فولجت فيها تلك النفخة الزكية من ذلك الملك الزكي، فأنشأ الله منها تلك الروح الزكية، فكان روحانيًا من مادة روحانية؛ فلهذا سُمي روح الله." (عبد الرحمن السعدي: ٢٠٠٠)

وقال هراس: " ما ورد من تلقيب عيسى – عليه السلام – بأنه روح الله أو كلمته لا يقتضي أن يكون هو الله، ولا أن يكون

جزءًا من الله، فإن الروح اسم لما به الحياة، ولا شك أن عيسى كان حياة لمن أرسل إليهم، جاءهم بما فيه حياة لأرواحهم وقلوبهم." (محمد هراس)

توضيح: حرف الجر (من) في قوله تعالى: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ (النساء: ١٧١) يفيد هنا ابتداء الغاية، أي مبتدئة من الله، وليس يفيد التبعيض، كقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ (المجادلة:٢٢)

تنزيه الله تعالى عن الولد والصاحبة:

قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۝٨٨ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ۝٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ أَن دَعَوْاْ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ۝٩١ وَمَا

يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا
﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا﴾ (مريم: ٨٨ – ٩٥)

قال ابن كثير: " فبين أنه تعالى لا ينبغي له الولد؛ لأنه خالق كل شيء ومالكه، وكل شيء فقير إليه خاضع ذليل لديه، وجميع سكان السموات والأرض عبيده، وهو ربهم لا إله إلا هو ولا رب سواه." (ابن كثير: ٢٠٠٢)

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ وَخَلَقَهُمۡۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ
بَنِينَ وَبَنَٰتِۢ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ
وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ
رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ
شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ
ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ (الأنعام: ١٠٠– ١٠٣)

قال ابن كثير: " فبين إنه خالق كل شيء فكيف يكون له ولد؟! والولد لا يكون إلا بين شيئين متناسبين، والله تعالى لا

نظير له، ولا شبيه، ولا عديل له، ولا صاحبة له، فلا يكون له ولد." (ابن كثير: ٢٠٠٢)

وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ (الإخلاص: ١ – ٤)

قال ابن كثير: " يقرر (الله) أنه الأحد الذي لا نظير له في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله." (ابن كثير: 2002)

قال الصابوني: " قال في التسهيل: واعلم أن وصف الله تعالى بالواحد له ثلاث معان، كلها صحيحة في حقه تعالى الأول: أنه واحد لا ثاني معه، فهو نفي للعدد، والثاني: أنه واحد لا نظير له ولا شريك، كما تقول: فلان واحد في عصره، أي: لا نظير له، والثالث: أنه واحد لا ينقسم ولا يتبعض، والمراد بالسورة نفي الشريك ردًّا على المشركين." (محمد الصابوني)

وهو الصمد الذي جميع المخلوقات مفتقرة إليه، فكيف يكون له ولد؟!

وبين الله سبحانه أنه: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ (الإخلاص: 3) أي: لم يوجد منه ولد ألبتة، ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ (الإخلاص: 3) أي: ولم يتولد عن شيء سابق عنه من قبل.

﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ (الإخلاص:4) أي: " وليس له عدل، ولا مكافئ، ولا مساو، فقطع النظير المداني والأعلى والمساوي، فانتفى أن يكون له ولد، إذ لا يكون الولد إلا متولدًا بين شيئين متعادلين أو متقاربين تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا." (ابن كثير: ٢٠٠٢)

وبين تعالى أنه يستحيل أن يكون له ولد، حتى ولو افتراضًا، قال تعالى: ﴿لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ (الزمر: ٤) أي: لو شاء الله اتخاذ ولد على سبيل الفرض والتقدير ﴿لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ﴾ (الزمر: ٤) أي: " لاختار من مخلوقاته ما يشاء ولدًا على سبيل التبني، إذ يستحيل أن يكون ذلك في حقه تعالى بطريق التوالد المعروف." (محمد الصابوني) .

ثم قال تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ (الزمر: ٤) أي: تنزيهًا لله عن الشريك والولد والنقص؛ لأنه الواحد الأحد الفرد الصمد القادر القهار.

قال الصابوني: " قال في التسهيل: نزه تعالى نفسه من اتخاذ الولد، ثم وصف نفسه بالواحد؛ لئن الوحدانية تنافي في اتخاذ الولد؛ لأنه لو كان لله ولد لكان من جنسه، ولا جنس له؛ لأنه واحد، فكيف يكون شريكًا له؟!" (محمد الصابوني)

ونختتم هذه النقطة بقوله صلى الله عليه وسلم: " **قال الله: كذبني ابن آدم، ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي، فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدًا، وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفئًا أحد.**" (رواه البخاري: ٤٩٧٤)

الطوائف التي نسبت الولد والصاحبة إلى الله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ (التوبة: ٣٠)

حددت هذه الآية طائفتين نسبت الولد إلى الله، وهما: اليهود: حيث نسبوا عُزير إلى الله، والطائفة الثانية هم النصارى: حيث نسبوا عيسى إلى الله، قاتلهم الله أنى يؤفكون!!

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ (الزخرف: ١٩)

أضافت هذه الآية طائفة ثالثة نسبت الولد والصاحبة لله، وهم طوائف من مشركي العرب اختلقوا كذبًا وزورًا أن الملائكة بنات الله، وأنه قد صاهر سروات الجن، فتولد منها الملائكة، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

الحاصل: هذه هي الطوائف التي نسبت إلى الله تعالى الولد والصاحبة، وقد رد الله عليهم في كتابه الكريم ردودًا مفحمة مسكتة، فقد قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ (الأنبياء: ٢٦-٢٩)

وقال تعالى: ﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ (يونس : ٦٨- ٧٠)

ولما كانت طائفة النصارى أشهر من نسب إلى الله تعالى الولد والصاحبة، فقد خَصّهم الله بالذكر أكثر من الطوائف الأخرى، فقد قال تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٧﴾﴾ (المائدة: ١٧)

قال ابن كثير: " فأخبر الله تعالى عن كفرهم وجهلهم، وبين أنه الخالق القادر على كل شيء، وأنه ربّ كل شيء ومليكه وإلهه." (ابن كثير: ٢٠٠٢)

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ (المائدة: ٧٢ – ٧٥)

فقد حكم الله على هؤلاء شرعًا وقدرًا بالكفر، وتوعدهم بالعذاب الأليم الكثير إن لم يرجعوا عن هذا القول الباطل المنكر الخطير، وبين حال عيسى الحق وأمه، حيث إن عيسى عبد الله

ورسول كريم، وأمه صديقة مؤمنة طاهرة، فهما بشران عاديان كان يأكلان الطعام، فمن كان بهذه الحالة كيف يكون إلها؟! تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ (المائدة: ١١٦-١١٨)

وإليك تفصيل هذا الحوار الذي لم يقع بعد:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ (المائدة: ١١٦)

أي: قال الله تعالى لعيسى يوم القيامة: يا عيسى ابن مريم أأنت أمرت الناس أن يعبونك وأمك من دوني.

قال القرطبي: " إنما سأله عن ذلك توبيخًا لمن ادعى ذلك عليه؛ ليكون إنكاره بعد السؤال أبلغ في التكذيب، وأشد في التوبيخ والتقريع." (القرطبي: ٢٠٠٢)

فيجيب عيسى بجواب رصين: ﴿سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ﴾ (المائدة: ١١٦) أي: تنزيهًا لك – يا الله –، فلا يصح مني أبدًا أن أتفوه بما لا يحق لي أن أقوله.

﴿إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ﴾ (المائدة: ١١٦) قال السبت: " فهذا الشرط دخل على ماضي اللفظ، وهو ماضي المعنى قطعًا؛ لئن المسيح إما أن يكون صدر منه هذا الكلام بعد رفعه إلى السماء، أو يكون حكاية ما يقوله يوم القيامة، وعلى التقديرين فإنما تعلق الشرط وجزاؤه بالماضي، وغلط على الله من قال: إن هذا القول وقع منه في الدنيا قبل رفعه، والتقدير: إن أكن أقول هذا فإنك تعلمه، وهذا تحريف للآية؛ لئن هذا الجواب إنما صدر منه بعد سؤال الله له عن ذلك، والله لم يسأله، وهو بين أظهر قومه، ولا اتخذوه وأمه إلهين إلا بعد رفعه بمئين السنين." (خالد السبت: 1421)

﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١١٦﴾ (المائدة: ١١٦) أي: تعلم حقيقة ذاتي وما انطوت عليه، ولا أعلم حقيقة ذاتك المقدسة، فأنت علام الغيوب.

قال الصابوني: " وهذا اعتذار وبراءة من هذا القول، ومبالغة في إظهار الأدب والمذلة والمسكنة في حضرة ذي الجلال." (محمد الصابوني)

ويستمر عيسى في كلامه المؤدب مع الله تعالى: ﴿مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ﴾ (المائدة: ١١٧) أي: ما قلت لهم سوى ما أمرتني به عندما أرسلتني إليهم، ثم ذكر ما قاله لهم: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡ﴾ (المائدة: ١١٧)

ثم قال عيسى: ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ١١٧﴾ (المائدة: ١١٧) أي: " كنت شاهدًا على أعمالهم حين كنت بين أظهرهم، فلما قبضتني إليك بالرفع إلى السماء كنت يا الله أنت الحفيظ لأعمالهم والشاهد على أفعالهم." (محمد الصابوني)

ثم قال عيسى على وجه التفويض إلى الربّ – عز وجل – والتبري من أهل الوثنية من النصرانية: ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ

﴿عِبَادُكَ﴾ (المائدة: ١١٨) أي: إن تعذبهم – يا الله – فإنهم عبادك، وأنت أعلم بأحوالهم، تفعل ما تشاء بهم بعدلك.

﴿وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ (المائدة: ١١٨) أي: وإن تغفر برحمتك لمن آتى منهم بأسباب المغفرة، فإنك أنت العزيز الذي لا يغالب، الحكيم في تدبيره، وهذا الكلام من عيسى قمة في الثناء على الله بالحكمة التامة، والعدل المستديم، والعلم بكل شيء!

قال ابن كثير: " وهذا التفويض والإسناد إلى المشيئة بالشرط لا يقتضي وقع ذلك، ولهذا قال عيسى: ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾، فلم يقل الغفور الرحيم." (ابن كثير: ٢٠٠٢)

الفصل الثاني

عيسى النبي الكريم عليه السلام

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾

(الصف: ٦)

الفصل الثاني:

عيسى النبي الكريم - عليه السلام -

تمهيد:

عاشت الأمة الإسرائيلية فترات كثيرة تضربها وثنية قبيحة, وفسوق مزري، وفجور فاحش.

وفي كل فترة من هذه الفترات المقيتة يرسل الله إليهم رسلًا منهم؛ ليعيدوهم إلى جادة الطريق؛ ولسلك الصراط المستقيم.

ومن هؤلاء الرسل الذين أرسلوا إلى بني إسرائيل كان عيسى عليه السلام, آخر أنبيائهم, وخاتم شرائعهم, جاءهم عيسى شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا, وداعيًا إلى الله بإذنه, وسراجًا منيرًا, وأنزل الله تعالى معه الإنجيل ليكون لبني إسرائيل دليلًا, ومرشدًا, ومعينًا.

وقد اجتهد عيسى – عليه السلام – في تبليغ دعوة الإنجيل التوحيدية اجتهادًا عظيمًا، ولكن – ويا للأسف – قابل اليهود دعوة عيسى الكريمة بالغلظة والخشونة، ثم بالكفر والدموية

الشنيعة، حيث أعدوا العدة لقتله، وإماتة دعوته, ولكن الله تعالى نجاه من شرهم ومكرهم، بأن رفعه إليه إلى السماء جسدًا وروحًا.

بدء نبوة عيسى عليه السلام:

نبأ الله تعالى عيسى عليه السلام، وأرسله إلى قومه بني إسرائيل، **فمتى بُعث عيسى؟ وكيف بدأت رسالته؟**

قال الصابوني : " لما بلغ عيسى – عليه السلام – ثلاثين عامًا، جاء إلى يحيى بن زكريا – عليهما السلام – المسمى عند النصارى (يوحنا المعمدان)، فعمّده (أي: غسله غسل التوبة, وهذا ما يسمى عند النصارى بـ (التعميد)), ثم نزل عليه روح القدس, جبريل عليه السلام, ثم إنه خرج بعد ذلك إلى البرية, وصام فيها أربعين يومًا لا يأكل ولا يشرب, ونزل عليه الوحي بكتاب الله المقدس المسمى الإنجيل, ومنذ ذلك الحين بدأت رسالة عيسى عليه السلام." (محمد الصابوني)

وهذا الكلام من الصابوني – رحمه الله – يبدو أن مصدره الإسرائيليات، أما القرآن الكريم والسنة الصحيحة الشريفة لم يشيرا لا إجمالًا ولا تفصيلًا إلى متى كانت نبوة عيسى عليه السلام؟ أو كيف نزل عليه الوحي؟

فقد أشار القرآن الكريم فقط إلى أن عيسى نبي نبأه الله تعالى, وأرسله إلى بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ﴾ (الصف: 6) أي: واذكر – يا محمد – لقومك عندما أخبر عيسى قومه بأنه مرسل إليهم, وأنه قد جاءهم بشريعة مصدقة لشريعة التوراة, أي جاء بمثل ما كان يدعو إليه موسى في توراته من توحيد الله، أما في أي سنّ نبّأه تعالى؟ وكيف نزل الوحي عليه؟! فالقرآن لم يخبر عن ذلك شيئًا.

إنزال الإنجيل على عيسى عليه السلام:

ما المقصود بالإنجيل؟

الإنجيل في اللغة: كلمة يونانية, ومعناها: البشارة, ويذكر ويؤنث, فمن أنثه أراد الصحيفة, ومن ذكره أراد الكتاب، وقد ذكر: " (الإنجيل) اسم عربي مشتق من النجل، وهو التوسعة، ومنه قولهم: عين نجلاء، أي واسعة، وسمي الإنجيل بذلك لئن فيه توسعة لم تكن في التوراة." (محيي الدين الدرويش: 2001)

والإنجيل اصطلاحًا: هو كتاب الله المقدس المنزل على عيسى عليه السلام, وهو أحد الكتب السماوية الرئيسة الأربعة, وهي: التوراة, والزبور, والإنجيل, والقرآن.

وقد ورد ذكر الإنجيل في القرآن الكريم في اثني عشر موضعًا, منها:

قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣﴾ (آل عمران: 3)

وقوله تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٤٧﴾ (المائدة : 47)

ونحوها من الآيات.

كيف نزل الإنجيل من عند الله تعالى؟

لا شك أن الإنجيل نزل على عيسى – عليه السلام – عن طريق الوحي جبريل عليه السلام, قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤﴾ (الشعراء: 193 – 194)

أما كيفية نزول جبريل بالإنجيل على عيسى عليه السلام, لا يوجد دليل شرعي صحيح يبين لنا هذه الكيفية الغيبية.

دعوة الإنجيل:

المشهور بين العلماء أن الإنجيل هو كتاب سماوي مقدس يشتمل على دعوة توحيدية خالصة, وبه بعض الأوامر التشريعية الجديدة, كما به الكثير من الرقائق والحكم والمواعظ.

تحريف الإنجيل:

نزل الإنجيل من عند الله على عيسى – عليه السلام – صافيًا نقيًا, لكن سرعان ما تناولته أيدي التحريف والتبديل، من قبل أحبار اليهود وعلمائهم السوء, حتى لم يبق في الإنجيل الذي أنزل على عيسى شيء صحيح فيه الآن.

وبسبب هذا التحريف صار الإنجيل خمسة أناجيل، وهي: إنجيل متى، وإنجيل يوحنا، وإنجيل لوقا، وإنجيل مرقس، وانجيل برنابا!!

وجدير بالذكر أن إنجيل برنابا لا تعترف به الكنيسة؛ لأنه يصرح بأن عيسى عبد الله ورسوله، وليس إلهًا، ولا ابن إله، ولا ثالث ثلاثة، وفيه أوصاف النبي الأمي الذي بشر به المسيح عليهما السلام.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا التحريف والتبديل في عدة مواضع، منها:

قوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 75)

وقوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ۙ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ (المائدة: 13)

تساؤل: لِمَ لَمْ يحفظ الله الإنجيل من التحريف مثل حفظه للقرآن؟!

الإنجيل كتاب سماوي كالقرآن، ولكن أَوْكَلَ الله حفظه إلى أحبار اليهود، ويا للأسف ضيعوا هذه الأمانة، ولم يحفظوها، بينما القرآن لم ينله مثل هذا التحريف والتبديل؛ لئن الله هو الذي تكفل بحفظه قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ (الحجر: ٩)

موقف علماء المسلمين إزاء الإنجيل الآن:

يقول أحمد أمين : " موقف المسلمين إزاء الإنجيل واختلافهم في صحته وتحريفه كاختلافهم في التوراة, بل ذهب ابن حزم وابن

تيمية وغيرهما في عدم الاعتراف بالإنجيل الذي بين أيدينا إلى أكثر مما ذهبوا إليه في التوراة." (أحمد أمين)

ويقول النجار: " أين يوجد اليوم إنجيل المسيح الذي ذكره القرآن الكريم؟ إن الإنجيل الذي أتى به المسيح وبشر به لا يوجد الآن, وإنما توجد قصص ألفها التلاميذ وغير التلاميذ، لم تسلم من المسخ والتحريف بالزيادة والحذف." (محمد الصابوني)

وقال الصابوني: " الأناجيل الحالية فهي عبارة عن مصنفات تاريخية حول قصة حياة مريم وابنها المسيح عيسى, وما جرى له منذ ولادته حتى نهاية حياته في الأرض حسب معتقداتهم, كما تتضمن أخبارًا عن يوحنا المعمدان وهو يحيى عليه السلام." (محمد الصابوني)

ويرى كثير من العلماء المحققين أن الاناجيل الخمسة لم تكتب في حياة عيسى عليه السلام, وإنما كتبت بعد رفعه إلى السماء.

" فإنجيل متى وهو أقدم الأناجيل عندهم وأولها، كتب بعد نهاية المسيح بأربعة سنوات, وقد كتب باللغة العبرية, والموجود الآن ترجمته, ولكن من المُتَرْجِم؟ وأين الأصل المُتَرْجَم منه؟ حتى تتم (الموازنة) بينهما, كل ذلك ليس له عندهم جواب, فأية قيمة

علمية إذًا لوثيقة لا يعرف أصلها, ولا مترجمها, وليس لها سند متصل إلى السيد المسيح أو تلامذته؟! " (محمد الصابوني)

وإنجيل مرقس كتب باللغة اليونانية بعد رفع المسيح بثلاث وعشرين سنة, وعلماء النصارى مختلفون في من الذي كتبه؟ وهذا الاختلاف يزرع الشك في هذا المصنف، ويجعل النفس لا تطمئن إليه.

وإنجيل لوقا الذي قام بكتابته لوقا, وذلك باعتراف علماء النصارى أنفسهم، ولوقا هذا ليس من تلاميذ عيسى, وإنما من تلاميذ بولس, وبولس هذا كان يهوديًا حانقًا على المسيحية, وقد آذى النصارى إيذاءً شديدًا, ولكنه لما رأى أن الاضطهاد لم يجد نفعًا مع النصارى سلك حيلة ماكرة، حيث إنه تنصر ، وادعى أنه صرع، وفي حال صرعه لمسه المسيح, وأن المسيح أرسله ليبشر بإنجيله؛ لذا تجد إنجيل لوقا قد جاء بزيادات كثيرة عما ذكره إنجيل (متى ومرقس)، مما يجعل الباحث يقف شاكًا في لوقا، ومتهمًا أستاذه بولس بتحريف الديانة النصرانية.

أما إنجيل يوحنا, فقد كتب بعد رفع عيسى بـ (32) سنة، وزعمت الكنيسة أن الذي كتبه يوحنا بن زيدي أحد تلاميذ المسيح، وهذا الزعم قد أنكره محققو مؤرخي النصارى أنفسهم,

وبينوا أنه من تصنيف طالب من طلبة مدرسة الإسكندرية في القرن الثاني الميلادي.

الحاصل: " يتضح لنا أن الأناجيل الموجودة الآن محرفة, وأنها غير الإنجيل الذي أنزله الله, وأنها منقطعة الإسناد ومضطربة المتن، ويكفي هذا لعدم الاطمئنان والوثوق بما فيها من أخبار وأحكام." (محمد الصابوني)

دعوة عيسى عليه السلام:

مجتمع عيسى كان مجتمعًا يهوديًا, قد دخله الكثير من الخرافات والأباطيل والبدع, وذلك بسبب التحريف الذي لحق دينهم، هذا التحريف الذي ما تركهم إلا وقد انغمسوا في الوثنية انغماسًا عظيمًا، وتحللوا من الأخلاق الفاضلة تحللًا بينًا.

وعندما زاد انحراف بني إسرائيل واعوجاجهم, بعث الله إليهم عيسى المسيح عليه السلام؛ ليردهم إلى جادة الطريق, ويصحح ما دخل في شريعتهم من شطط وزيغ, فنهض عيسى – عليه السلام – بهذه المهمة أحسن نهوض, وقام بها أكمل قيام، فدعا وأرشد, وأنذر وأعذر.

دعوة عيسى التوحيدية:

كان أول ما دعا عيسى قومه إليه هو إفراد الله بالربوبية والألوهية, قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ (المائدة: 72)

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾﴾ (الزخرف: 63- 64)

وهكذا إذا تتبعت دعوة عيسى في القرآن الكريم، تجدها دعوة إلى الله تعالى لإفراده بالربوبية والألوهية, تجدها دعوة متبرئة مما نُسب إليه من ربوبية أو ألوهية, تجدها دعوة مقررة أنه بشر عادي بيد أنه أرسل إليهم.

ودعوة عيسى الصريحة إلى التوحيد، قد أشارت إليها الأناجيل – أيضًا – بالرغم مما أصابها من تحريف وتبديل.

وإليك هذا الغيض من الفيض:

يقول هراس: " ففي إنجيل متى في الإصحاح الرابع يقول إبليس للمسيح: إن كنت ابن الله فأخرج نفسك إلى أسفل, فإنه مكتوب أنه يوصي ملائكته بك، فيقول له المسيح: مكتوب – أيضًا – لا تجرب الربّ إلهك." (محمد هراس)

وقال هراس: " وفي إنجيل مرقس من الإصحاح الثاني عشر: يسأل أحد الكتبة يسوع: أية وصية هو أول الكل؟ فيجيبه: بأن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل: الربّ إلهنا ربّ واحد, وتحبّ الربّ إلهك من كل قلبك, ومن كل نفسك, ومن كل فكرك, ومن كل قدرتك, هذه هي الوصية الأولى." (محمد هراس)

أحكام شريعة عيسى الجديدة:

كما واشتملت دعوة عيسى على بعض الأحكام التشريعية الجديدة, وهي تحليل بعض الذي حُرم عليهم.

فما الذي قام عيسى بتحليله لهم؟

اختلاف العلماء في ذلك على قولين:

القول الأول: أحلّ عيسى لهم بعضًا مما حرمه الله عليهم بسبب ذنوبهم التي ارتكبوها, ومعاصيهم التي اقترفوها, وذلك قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ

ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلۡحَوَايَآ أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖۚ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ١٤٦﴾ (الأنعام : 146)

وكقوله تعالى: ﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا ١٦٠ وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٦١﴾ (النساء : 160 – 161)

فعلى هذا القول يكون المراد بالتحليل هو نسخ الحكم الأول, أي كان الحكم محرمًا بنص إلهي, ثم جاء التحليل بنص إلهي ناسخ حكم النص الأول.

القول الثاني: أحلّ عيسى لهم ما حرمه عليهم أحباء السوء، قال عيسى عليه السلام: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ (آل عمران: 50) أي: أحل لكم ما حرمه عليهم أحباركم, الذين افتروا على الله عز وجل القول بتحريمه.

وعلى هذا القول: فالمراد بالتحليل هنا كشف افتراءات أحبار اليهود الذين أدخلوا في الدين ما ليس منه, وبيان حلّ ما يحرموه.

ويقول العدوي: " ولا مانع من أن تنتظم الآية الكريمة المعنيين معًا, والله تعالى أعلم." (مصطفى العدوي: 2002)

موقف اليهود من دعوة عيسى عليه السلام:

سمع اليهود دعوة عيسى الكريمة المخلصة لهم, ولكن قوم قست قلوبهم, وأظلمت نفوسهم, ما ظنك أن يكون ردهم؟!

من المتوقع جدًّا أن يكون ردهم الرفض والعناد، وبالفعل قابل اليهود دعوة نبيهم عيسى الرقيقة اللطيفة بالرفض والجحود والعناد، ويا ليت وقف موقفهم من دعوة نبيهم عند هذا الحد من الرفض والعناد, لكن بلغت بملئهم الصفاقة أن قرروا قتل عيسى عليه السلام!

محاولة قتل عيسى عليه السلام:

بعدما أجمع الملأ من اليهود على قتل عيسى, بدأوا في تنفيذ شرهم بعيسى، وإيقاع مكرهم به.

ويبدو أن عيسى – عليه السلام – قد علم بذلك, ولكن كيف علم بذلك؟! هل أخبره أحد؟ أم هل عرف بطريقة الصدفة؟ أسئلة لا توجد لها إجابات قاطعة، **غير أن الحاصل:** علم عيسى بشرّ

القوم وسوء نيتهم له، وكان هذا من آثار حفظ الله تعالى لنبيه عيسى, فاختفى عيسى عن أنظارهم, إلا أنهم قد اكتشفوا مكانه, **ولكن كيف استدلوا على مكان عيسى؟**

هنا تأتي الروايات الإسرائيلية وتحكي حكايات عجيبة, فقد ذكرت: أنه كان رجلًا خائنًا من الحواريين, يقال له: يهوذا الأسخربوطي, كان يعلم الموضع الذي اختبأ فيه عيسى, ومن ثم هو الذي دلهم على مكانه.

وأغلب الظن أن ذلك غير صحيح، حيث لا دليل شرعي صحيح عليه.

على كل حال: استدل اليهود على موضع عيسى الذي كان يختبأ فيه, ودخلوا عليه، وهموا أن ينفذوا فيه شرهم، وقبل أن يمدّ اليهود أيديهم إلى عيسى بالسوء والأذى تدخلت العناية الإلهية الفائقة, وحفظت عيسى من شرهم ومكرهم، **فكيف حفظ الله تعالى نبيه؟!**

هذا ما سنعرفه في النقطة الآتية.

إلقاء الشبه على غير عيسى عليه السلام:

حفظ الله عيسى من شرّ اليهود بأن ألقى شبه عيسى على غيره.

فَمَنْ هذا الذي ألقى الله شبه عيسى عليه؟

قيل: إنه واحد من الحواريين, فعن ابن عباس : " قال عيسى للحواريين: أيكم يلقى عليه شبهي, فيقتل مكاني, فيكون معي في درجتي؟ فقام شاب من أحدثهم سنًّا, فقال له: اجلس.

ثم أعاد عليهم, فقام الشاب, فقال: أنا.

فقال: أنت هو ذاك.

فألقي عليه شبه عيسى." (ابن كثير: 2002)

وقيل: إن الذي ألقي عليه الشبه هو ذلك الخائن الذي دلهم على مكانه, قال البيضاوي: " روي أن رجلًا كان ينافق لعيسى فخرج ليدل عليه, فألقى الله عليه شبهه، فأخذ وصلب, وهم يظنون أنه عيسى." (محمد الصابوني)

وقيل: إن الذي دلهم على مكان عيسى رجل خائن من الحواريين، ويدعى يهوذا الإسخربوطي، قال الصابوني: " لما دخلوا المكان الذي فيه المسيح ألقي الله شبهه على ذلك الخائن يهوذا الإسخربوطي فأخذوه, وهم يظنونه عيسى فقتلوه وصلبوه." (محمد الصابوني)

والذي يبدو أن كل هذه الآثار مأخوذة من الإسرائيليات؛ **لذا الصواب أن يقال:** الله أعلم بمن أُلقي شبه عيسى عليه؟!

الحاصل: أن الله قد ألقى شبه عيسى على غيره, والله أعلم من هذا الشخص الذي أُلقي شبه عيسى عليه, فشّبه على اليهود, فأخذوه وهم يظنون أنه عيسى, فقتلوه ووضعوا الشوك على رأسه, وصلبوه.

قال تعالى: ﴿وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡ﴾ (النساء: 157) أي: زعم اليهود أنهم قد قتلوا عيسى وصلبوه, ولكن الله نجا عيسى من شرهم, فقد ألقى شبه عيسى على غيره, فالذي قتلوه وصلبوه هو شبيه عيسى, وليس عيسى.

تنويه: يعتقد النصارى أن عيسى – عليه السلام – قد قتل، وقد حدثت ظلمة شديدة في الأرض عند قتله، وهذا من ضلالات النصارى وبدعهم.

تساؤل: اليهود لا يؤمنوا بأن عيسى رسول الله, ومع ذلك قالوا عنه رسول الله ﴿وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ (النساء: 157), فكيف قال اليهود عن عيسى: رسول الله؟!

نعم, اليهود لا يؤمنون بأن عيسى رسول الله, وقولهم هذا قد جاء على سبيل التهكم والاستهزاء, كقول فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ٢٧﴾ (الشعراء: 27)

رفع عيسى – عليه السلام - إلى السماء:

بعدما ألقى الله شبه عيسى على غيره رفع تعالى عيسى إلى السماء, قال تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ (آل عمران: 55) أي: بشر الله تعالى نبيه عيسى بنجاته من شرّ اليهود, وتطهيره من خبثهم؛ وذلك برفعه إلى السماء سالمًا دون أذى منهم.

كيف رفع الله عيسى إلى السماء؟

روى الضحاك عن ابن عباس: " أن عيسى لما رفع إلى السماء جاءت سحابة, فدنت منه, حتى جلس عليها, وجاءته مريم، فودعته وبكت، ثم رفع وهي تنظر." (ابن كثير: 2002)

ويبدو هذا من الإسرائيليات, وهو غريب جدًا, ولا يصح بأي حال من الأحوال, والصواب في كيفية رفع الله لعيسى أن يقال: رفعه الله إليه بكيفية لا يعلمها إلا الله وحده.

هل عيسى مات ثم رفع؟

اختلف العلماء في ذلك على أقوال، وهي:

– قال بعضهم: توفي ثلاث ساعات من نهار ثم رفع, وهذا القول لا يصح.؛ لعدم وجود دليل صحيح عليه.

- وقال بعضهم: " أماته الله ثم بعثه ثم رفعه." (مصطفى العدوي: 2002)، وهذا القول لا يصح أيضًا؛ لأنه ذكر ثم بعثه, إذ لا دليل على ذلك.

- ذكر بعض العلماء: " أن معنى الوفاة هنا النوم, وقد ورد ذلك في كتاب الله عز وجل, قال الله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى﴾ (الزمر: 42), وكقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ (الأنعام: 60), فعلى ذلك فمعنى متوفيك: منيمك." (مصطفى العدوي: 2002)

وقد ضعف كثير من العلماء هذا القول مثل القرطبي وغيره.

- وذكر فريق من العلماء: " أن معنى متوفيك: قابضك ورافعك إلى السماء من غير موت, مثل توفيت مالي من فلان، أي: قبضته." (مصطفى العدوي: 2002)

- وذكر: أن الواو لا تفيد إلا مطلق الجمع والتشريك غالبًا، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ

تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ (النور: 27)، فقد ذكر تعالى الاستئناس، ثم عطف عليه التسليم, ومن المعلوم أن التسليم يكون قبل الاستئناس.

وعليه يكون المعنى: " يا عيسى إني رافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا، ومتوفيك بعد إنزالي إياك إلى الدنيا." (ابن جرير الطبري: 2002)

وهذا القول أقرب الأقوال للصواب، والله أعلم.

ثم بشر الله تعالى عيسى – عليه السلام – بشارة أخرى, وهي: ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ (آل عمران: 55) أي: بشر الله عيسى بأنه هو واتباعه من الحواريين المخلصين، وكذلك النصارى الذين آمنوا به وجاءوا من بعده، أنهم فوق الذين جحدوا نبوتك إلى يوم القيامة.

تنويهان:

1. ذكر أن بشارة (جعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا) للنصارى والمسلمين الذين صدقوا عيسى على السواء، **وهذا غير صحيح، والصواب ما ذكرناه أن:** هذه البشارة للحواريين من أصحابه، وكذلك النصارى الذين آمنوا

برسالته بعده, حيث القصة مذكورة في شأن عيسى، والله أعلم.

2. يخرج من جملة النصارى المبشرين بهذه البشارة النصارى الذين ألهوه وقالوا: هو الله, أو ابن الله, أو ثالث ثلاثة.

إشكال: كيف تفسر غلبة بعض الأمم الكافرة لبعض من اعتقد الحق في عيسى، مع قوله تعالى: ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ﴾ (آل عمران: 55)؟:

ذكر العلماء في ذلك وجوهًا كثيرة, **ومنها:**

- " إن متبعي عيسى حق الاتباع منصورون على أعدائهم من الكفار في الدنيا على الدوام, وإنما يعتريهم في بعض الأزمنة والأماكن ما يعتريهم لتقصيرهم في اتباعه عليه الصلاة والسلام, ومخالفتهم بعض أمره عليه الصلاة والسلام." (مصطفى العدوي: 2002)
- لا شك أن عيسى – عليه السلام – سينزل في آخر الزمان, فيكسر الصليب, ويقتل الخنزير, ويضع الجزية, ولا يقبل إلا الإسلام.
- " إن غلبة أهل الإيمان لأهل الكفر إنما هي بالحجة والبرهان، وحجة الذين آمنوا غالبة، وحجة الذين كفروا داحضة عند ربهم." (مصطفى العدوي: 2002)

الحاصل: كانت نجاة عيسى بهذا الشكل المعجز منة من الله عظيمة لعيسى, قال تعالى: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾ (المائدة: 110)

حواري عيسى عليه السلام:

الحواريون: جمع حواري.

والحواري: " معناه الناصر, وحواري الرجل هو: صفوته وخلاصته, وقال بعض العلماء: إنه مأخوذ من الحور, وهو البياض عند أهل اللغة، وقيل: " الحواري: الوزير, وقيل: هم: أصفياء الأنبياء." (مصطفى العدوي: 2002)

والمقصود بحواري عيسى: أي: أصحاب عيسى واتباعه وأنصاره, وهم المذكورون في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا

مُسۡلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ (آل عمران : 52 -53)

قال ابن كثير: " والمقصود أن عيسى - عليه السلام - لما أقام عليهم الحجج والبراهين, استمر أكثرهم على كفرهم, وضلالهم, وعنادهم وطغيانهم, فانتدب له من بينهم طائفة صالحة, فكانوا أنصارًا وأعوانًا قاموا بمتابعته ونصرته ومناصحته." (ابن كثير: 2002)

كم كان عدد هؤلاء الحواريين؟

ذُكر أنهم كانوا سبعة عشر رجلًا, والمشهور أنهم كانوا اثنى عشر رجلًا.

ما أسماؤهم؟

ذكر المفسرون أسماءهم, كما ورد في إنجيل متى, وهم: سمعان، أنداروس، يعقوب بن زبدي، يوحنا بن زبدي، برثولماوس، فلبس، متى العشار، توما، يعقوب بن حلقي، لباوس، سمعان القانوني، يهوذا الاستخربوطي.

ومن الجدير بالذكر أن الكنيسة قد حذفت اسمين ورد في إنجيل برنابا؛ لعدم اعتراف الكنيسة بهذا الإنجيل.

على كل حال: كان لعيسى حواريون – والله أعلم بعددهم وأسمائهم – وكانوا صفوة قومهم, وأكثر الناس اتباعًا لعيسى, وإيمانًا به, وقد كانوا أعوانه وأنصاره، غفر الله لهم، وشكر لهم سعيهم.

ونختم هذه النقطة بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: " **إن لكل نبي حواريًّا, وحواري الزبير.**" (رواه البخاري: (2846) واللفظ له, ومسلم: (2415))

خبر المائدة:

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ

أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ (المائدة: 112 – 115)

يذكر الله تعالى في هذه الآيات الكريمات خبر مائدة عيسى العجيب, وهي مما قد امتن الله به على عبده الأمين, ورسوله الكريم, عيسى عليه الصلاة والتسليم, فكانت آية باهرة واضحة, وحجة ساطعة قاطعة.

وقبل البدء في سرد هذا الخبر المعجز نطرح هذا التساؤل: **هل المائدة بالفعل نزلت؟**

أم أنها لم تنزل؟

اختلف العلماء في ذلك على قولين:

القول الاول: أنها لم تنزل, وقد حكى ذلك الحسن ومجاهد.

وقد أُستدل على ذلك بما يأتي:

- الله سبحانه ذكر للحواريين وعده الكريم أنه سينزلها, وتوعدهم إن كفروا بها بوعيد شديد, ولم يذكر سبحانه أنه قد أنزلها, فلما سمع الحواريون هذا الوعيد الشديد استكفوا واختاروا عدم نزولها, فلم ينزلها الله.
- خبر المائدة لم يذكر في الأناجيل التي بين أيدي النصارى اليوم.

القول الثاني: وهو أنها نزلت بالفعل, وهذا هو قول الجمهور, وهو الصحيح إن شاء الله:

قال أبو شبهة: " (إن ذلك) هو ظاهر القرآن, فقد وعد الله, ووعده محقق لا محالة." (محمد أبو شبهة: 1408)

أما عدم ذكر خبرها في الأناجيل التي بين أيدي النصارى اليوم, فقد قال عبد الرحمن السعدي: " عدم ذكرها في الأناجيل التي بأيديهم هو من الحظ الذي ذكروا به فنسوه, أو أنه لم يذكر في الإنجيل أصلًا, وإنما ذلك كان متوارثًا بينهم, ينقله الخلف عن السلف, فاكتفى الله بذلك عن ذكره في الإنجيل, ويدل على هذا المعنى قوله: ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ (المائدة: 113), والله أعلم بحقيقة الحال." (عبد الرحمن السعدي: 2000)

الحاصل: أنزل الله تعالى هذه المائدة من السماء؛ لتكون آية باهرة وحجة قاطعة لعيسى عليه السلام.

وتبدأ قصة هذه المائدة بطلب غريب من الحواريين، وهو: أن ينزل الله تعالى عليهم مائدة, حيث قالوا لعيسى: ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ (المائدة: 112) أي: " قال الحواريون: يا عيسى هل يقدر ربك على إنزال مائدة من السماء علينا؟!" (محمد الصابوني)

وتأمل: لقد ذكر الحواريون عيسى باسمه ونسبوه إلى أمه؛ لئلا يتوهم متوهم أنهم اعتقدوا ألوهيته أو ألوهية أمه!

تساؤلان:

1. **ما المقصود بكلمة (المائدة)؟**

قال الراغب: " المائدة الطبق الذي عليه الطعام, وتقال أيضًا للطعام نفسه." (محيي الدين الدرويش: 2001)،

ولكن ما ذكره الراغب مخالف لما هو مشهور متعالم عند علماء اللغة, فالصحيح أن المائدة: " الخوان إذا كان عليه الطعام, فإن لم يكن عليه طعام فليس بمائدة." (محيي الدين الدرويش: 2001)

2. **هل كان سؤال الحواريين سؤال شكّ واختبار؟**

قال ابو حيان : " وهذا اللفظ يقتضي ظاهره الشك في قدرة الله تعالى على أن ينزل مائدة من السماء, وهذا ما ذهب إليه الزمخشري." (محمد الصابوني)

وهذا القول غير صحيح.

بينما قال القرطبي: " كان هذا السؤال في ابتداء أمرهم قبل استحكام معرفتهم بالله عز وجل, ويجوز أن يكون صدر ممن كان معهم من الجهال، كما قال بعض قوم موسى: ﴿ٱجۡعَل

لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾ (الأعراف: 138)" (القرطبي: 2002)

وهذا القول بعيد.

وذُكر: أن هذا القول مِمّنْ كان مع الحواريين, وهذا القول بعيد أيضًا؛ لئن معنى الآية لا تستقيم معه.

والصواب الذي أطبق عليه المفسرون المحققون هو: " أن الحواريين كانوا مؤمنين, وهم خواص عيسى, وأنهم لم يشكوا في ذلك, حتى قال الحسن: لم يشكوا في قدرة الله, وإنما سألوه سؤال مستخبر هل ينزل أم لا؟ فإن كان ينزل فاسأله لنا, فسؤالهم كان للاطمئنان والتثبت." (محمد الصابوني)

وقال السعدي: " وهذا ليس منهم عن شك في قدرة الله, واستطاعته على ذلك, وإنما ذلك من باب العرض والأدب." (عبد الرحمن السعدي: 2000)

وقال بعض العلماء: " ليس ذلك بشك في الاستطاعة, وإنما تلطف في السؤال, وأدب مع الله تعالى بهذه الصيغة المهذبة, كقول الرجل لآخر: هل تستطيع أن تعتبني على كذا, وهو يعلم أنه يستطيع." (محمد أبو شبهة: 1408)

تنويه: هناك قراءة سبعية، وهي قراءة الكسائي وعلي وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد: (هل تستطيع) بالتاء و(ربَّك) بالنصب، ومعنى القراءة: هل تستطيع أن تسأل ربك؟ وهذه القراءة لا إشكال فيها؛ لئن الاستطاعة فيها متجهة إلى عيسى.

الحاصل: سأل الحواريون هذا السؤال بصيغة مهذبة من باب العرض والاستئذان، وطلب الاطمئنان والتثبت، ولما كان سؤالهم السابق سؤالًا من أسئلة آيات الاقتراح, عظّمه عيسى منهم, فقال: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١١٢﴾ (المائدة: 112) أي: " فأجابهم المسيح – عليه السلام – قائلًا لهم: اتقوا الله, ولا تسألوا هذا، فعساه أن يكون فتنة لكم, وتوكلوا على الله في طلب الرزق إن كنتم مؤمنين." (ابن كثير: 1987)

وهذا الكلام من عيسى ليس شكًّا في إيمان الحواريين, قال أبو شبهة: " وإنما هو أسلوب معهود, حملًا على التقوى, كما قال تعالى في حق المؤمنين الصادقين, من هذه الأمة المحمدية: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ (الأنفال: 1) والمعنى: اتقوا الله ولا تسألوه, فعسى أن يكون فتنة لكم، وتوكلوا على الله في طلب الرزق, أو اتقوا الله ودعوا كثرة السؤال, فإنكم

لا تدرون ما يحلّ بكم عند اقتراح الآيات؛ لئن الله سبحانه إنما يفعل الأصلح لعباده, ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ (الأنفال: 1) أي: كنتم من أهل الإيمان بالله ورسله, ولا سيما أنه سبحانه آتاكم من الآيات ما فيه غنية عن غيره." (محمد أبو شبهة: 1408)

الحاصل: عندما سمع الحواريون من عيسى هذا الاستعظام لطلبهم, بينوا مقصدهم الحقيقي منه, فقالوا: ﴿نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ (المائدة: 113) أي: ذكر الحواريون الأسباب التي من أجلها قد طلبوا هذه المائدة، فبدأوا بذكر احتياجاتهم المادية, وهي: احتياجهم إلى الأكل منها؛ للتقوي بها لأعمالهم: ﴿نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا﴾ (المائدة: 113)

ثم ثنوا بذكر الاحتياجات الروحية, وهي:

- ﴿وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ (المائدة: 113) أي: لزيادة الإيمان عند مشاهدتها, فيكون إيماننا عين اليقين بعدما كان علم اليقين.
- ﴿وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا﴾ (المائدة: 113) أي: لزيادة إيماننا بك, وعلمنا برسالتك, فإن العبد يحتاج إلى زيادة العلم واليقين والإيمان في كل وقت وحين.

- ﴿وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ١١٣﴾ (المائدة: 113) أي: لتكون آية وحجة على صدق نبوتك, ويحصل بها زيادة البرهان, ونشهد بها عند من لم يحضرها من الناس.

سمع عيسى ذلك منهم, وتيقن من مقصودهم الصالح الشريف, عند ذلك أجابهم إلى طلبهم, فدعا ربه: ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ (المائدة: 114) أي: قال عيسى بتضرع وخشوع: يا الله أتوسل إليك أن تنزل علينا مائدة من السماء.

قال أبو السعود: " نادى عيسى ربه مرتين: مرة بوصف الألوهية الجامعة لجميع الكمالات, ومرة بوصف الربوبية المنبئة عن التربية إظهارًا لغاية الخضوع ." (محمد الصابوني)

وتأمل: عبّر عيسى – عليه السلام – عن مجيء المائدة بالإنزال من السماء، وفي ذلك إشارة لطيفة إلى أنها هبة رفيعة، ونعمة شريفة، آتية من مكان مرتفع في الحسّ والمعنى، وكأن عيسى – عليه السلام – يدعو الحواريين أن يقابلوها بالشكر والامتنان.

وبلهجة المؤمن الواثق من عطاء ربه قال عيسى: ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةٗ مِّنكَ﴾ (المائدة: 114) أي:

يكون وقت نزولها عيدًا وموسمًا, يتذكر به هذه الآية العظيمة, فتحفظ, ولا تنسى على مرور الأوقات, وتكرار السنين, كما جعل الله تعالى أعياد المسلمين ومناسكهم مذكرًا لآياته, ومنبهًا على سنن المرسلين, وطرقهم القويمة, وفضله وإحسانه عليهم." (عبد الرحمن السعدي: 2002)

ثم ختم عيسى دعاءه بـ: ﴿وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ (المائدة: 114) أي: وارزقنا – يا الله – من عندك رزقًا هنيئًا, فإنك خير من يعطي ويرزق.

وتأمل: طلب عيسى المائدة، وسأل نزولها لمصلحتين عظيمتين:

المصلحة الأولى: " مصلحة الدين بأن تكون آية باقية." (عبد الرحمن السعدي: 2000)

المصلحة الثانية: مصلحة الدنيا بأن تكون رزقًا لهم.

وتأمل – أيضًا – ترتيب ذكر هذه المصالح عند كل من الحواريين وعيسى عليه السلام:

قال الفخر الرازي: " فإن الحواريين لما سألوا المائدة ذكروا في طلبها أغراضًا, فقدموا ذكر الأكل، فقالوا: نريد أن نأكل منها, وأخروا الأغراض الدينية والروحانية.

فأما عيسى فإنه لما ذكر المائدة, وذكر أغراضه فيها قدم الأغراض الدينية, وأخر غرض الأكل, حيث قال: وارزقنا, وعند هذا يلوح لك مراتب درجات الأرواح في كون بعضها روحية, وبعضها جسمانية." (الفخر الرازي)

على كل حال: دعا عيسى ربه أن ينزل المائدة، **فَبِمَ أجاب الله دعاء عيسى؟**

أجاب الله دعاء عيسى السابق بقوله: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡ﴾ (المائدة: 115) أي: أجاب الله دعاء عيسى بأنه قال كرامة له: بأنه سينزل لهم هذه المائدة من السماء.

ثم عقب سبحانه ذلك بقوله: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (المائدة: 115) أي: من كذب بتلك الآية الباهرة من أمتك يا عيسى وعاندها, فإني سوف أعذبه عذابًا شديدًا لا أعذب بمثل ذلك التعذيب أحدًا من البشر.

تساؤلات:

1. لِمَ توعد الله تعالى جاحد هذه الآية بعذاب لا يعذبه بمثله أحدًا من العالمين؟

قال السعدي: " لأنه شاهد الآية الباهرة, وكفر عنادًا وظلمًا فاستحق العذاب الأليم." (عبد الرحمن السعدي: 2000)

وقال الصابوني: " قال في التسهيل: جرت عادة الله – عز وجل – بعقاب من كفر بعد اقتراح آية فأعطيها." (محمد الصابوني)

2. ما المقصود بقوله تعالى: ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ في ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (المائدة: 115)؟

قال ابن كثير: " أي من عالمي زمانكم، كقوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ (غافر: 46), وكقوله: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ (النساء: 145)" (ابن كثير: 1987)

وذكر: المقصود بـ ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ جميع الخلائق, فقد روى ابن جرير عن عبد الله بن عمرو أنه قال: " إن أشد الناس عذابًا يوم القيامة ثلاثة: المنافقون, ومن كفر من أصحاب المائدة, وآل فرعون." (ابن جرير الطبري: 2002)

3. هل الوعيد المذكور في الآية دليل على أنهم قد كفروا؟

قال أبو شبهة: " وليس في الآية ما يدل على أنهم كفروا, ولا على أن غيرهم قد كفر بها." (محمد أبو شبهة: 1408)

الإسرائيليات المكذوبة الواردة في خبر المائدة:

خبر المائدة كونه معجزة عجيبة، فقد أحيط بأخبار غريبة منكرة, من دسّ اليهود عليهم من الله ما يستحقون.

الأكاذيب المروية عن الطعام الذي كان عليها:

رويت أكاذيب عدة عن نوع الأطعمة التي اشتملت عليه هذه المائدة, فذكروا: أنه كان خبزًا ولحمًا, ونسبوا ذلك كذبًا إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: **" أنها نزلت خبزًا ولحمًا."**.

وروي عن ابن عباس روايات مختلفة حول نوع هذا الطعام, فمرة روي أنه قال: إنها خوان عليه خبز وسمك, وتارة روي عنه كانت المائدة سمكة وأريغفة (تصغير أرغفة), وثالثة روي عنه: " عليها كل الطعام إلا اللحم."، ورابعة روي عنه: " أنزل على المائدة كل شيء إلا الخبز واللحم." (محمد أبو شبهة: 1408)

وإن تعجب فالعجب أن يكون راوي كل هذه الروايات المختلفة هو شخص واحد!!

وذُكر: كان طعامها من ثمار الجنة, وذُكر: أنها كانت أقراص من شعير وسمك.

وكما ترى هذا الاختلاف الحاد بين هذه الروايات مما يصعب الجمع معه, مما يؤكد على أنها روايات مكذوبة مبتدعة من نسج اليهود والنصارى, وليس لها أصلًا ومرجعًا إلى النبي المعصوم صلى الله عليه وسلم.

الأكاذيب المروية عن بركة طعامها:

وكما اخترع أهل الكتاب أطعمة عجيبة عليها، تحدثوا بغرابة أعجب عن بركة هذه الأطعمة! فقد روي عن وهب بن منبه: " كان يقعد عليه أربعة آلاف, وإذا أكلوا أنزل الله مكان ذلك لمثلهم, فلبثوا على ذلك ما شاء الله عز وجل." (محمد أبو شبهة: 1408)

وروي عنه أيضًا: " وحشا الله بين أضعافهن البركة, فكان قوم يأكلون, ثم يخرجون, ثم يجيء آخرون فيأكلون, ثم يخرجون حتى أكل جميعهم وأفضلوا." (محمد أبو شبهة: 1408)

ونحن لا ننكر مثل هذه المعجزات، فقد ثبت للرسول – صلى الله عليه وسلم – معجزة تكثير الطعام بين يديه الشريفتين، وإنما ما ننكره هو أنه لا دليل شرعي صحيح عليها.

أسطورة العذاب الذي حلّ على من كذّب بالمائدة وخالف الأمر:

وذكروا: أن هناك فريق من قوم عيسى خانوا وخالفوا! عندما خبئوا من طعام المائدة، وادخروا منه، ورفعوا لغد.

ثم حددوا نوع العذاب الذي حلّ على هؤلاء المخالفين, وهو المسخ قردة وخنازير!! ورووا في ذلك حديثًا مكذوبًا أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – قال: " **فخانوا, وادخروا, ورفعوا لغد, فمسخوا قردة وخنازير.**"

وكل ذلك من الكذب على الله ورسوله.

أسطورة نزول المائدة:

وذكروا كيفية عجيبة أسطورية لنزولها, حيث قالوا: إنها نزلت بين غمامتين: غمامة فوقها, وغمامة تحتها!

إلى غير ذلك من العجائب والغرائب الأسطورية التي لا تصدق, ولا يشك أي عاقل في أنها من دسّ اليهود، وكذبهم على الله ورسوله, قاتلهم الله أنى يؤفكون!!

الفصل الثالث

خاتمة قصة عيسى عليه السلام

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ١١١﴾ (يوسف: ١١١)

الفصل الثالث:

خاتمة قصة عيسى - عليه السلام -

تمهيد:

عيسى – عليه السلام – هو خاتم أنبياء بني إسرائيل، وأحد أولي العزم من الرسل، ومن الخمسة الذين تدور عليهم الشفاعة يوم الدين.

هو المسيح المطهر، والنبي الوجيه، والمتحدث في المهد وهو صغير، والمنتظر نزوله آخر الزمان؛ ليقيم الملة العوجاء، ويعدل الكفة الميلاء.

هو كلمة الله، وروح منه.

هو عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام.

وفي هذا الفصل سنعرف معجزات عيسى الباهرة، وفضائله السنية، وسننوه لبعض الإسرائيليات التي ما زالت تشوه قصته العطرة الطيبة، وسنقطف بعضًا من الفوائد الجلائل من قصته الجميلة الحميدة.

معجزات عيسى عليه السلام:

أظهر الله تعالى على يد عيسى – عليه السلام – معجزات باهرة ساطعة، وهي التي قال تعالى عنها: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٤٨ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٤٩﴾ (آل عمران: 48– 49)

فكانت معجزات عيسى – عليه السلام – على النحو الآتي:

1. تعليمه التوراة والإنجيل.
2. تصوير الطين على شكل طير، ثم ينفخ في تلك الصورة فتصبح طيرًا يطير.
3. مداواة الأكمه والأبرص. (الأكمه: من ولد أعمى)، (والأبرص: هو المصاب بالبرص، والبرص مرض جلدي يجعل لون الجلد يميل إلى البياض، وهو داء معروف يصيب الإنسان، ولم تنفر العرب من شيء كنفرتها منه.)

4. إحياء الموتى.
5. إخباره قومه بالمغيبات من أحوالهم التي لا يشكون فيها، فقد كان يخبر الواحد منهم بما أكل وما يدخر في بيته.

تساؤلات:

1. مما امتن الله به على عيسى تعليمه التوراة والإنجيل، بينما جاء في الحديث لما رأى الرسول – صلى الله عليه وسلم – في يد عمر بن الخطاب التوراة، قال: " **أفي شك أنت يا ابن الخطاب؟ ألم آت بها بيضاء نقية.**" (رواه أحمد) **فما وجه الجمع بين الآية والحديث؟**

قال العدوي:

أولًا: قد تكلم بعض أهل العلم في صحة الحديث.

ثانيًا: في حالة صحته، فالجمع ممكن بأن يقال: إن عيسى – عليه الصلاة والسلام – معصوم، أو يقال: بأن القرآن الكريم ناسخ لما قبله ومهيمن على الكتب التي قبله، أو يقال: إنه لابأس لمن جمع بين القرآن وسائر الكتب، لكن من لم يجمع القرآن ويفقه، وتحول إلى بعض الكتب، فهذا يتنزل في حقه المنع.

أو يقال: إن المنع من قراءة الكتب المتقدمة إنما هو لما اعتراها من تحريف وتبديل، ولما شابها من اختلاق لتحليل وتحريم، والله أعلم." (مصطفى العدوي: 2002)

2. **كيف أجاز عيسى – عليه السلام – لنفسه أن ينسب هذه الأفعال إليه؟**

نسب عيسى – عليه السلام – هذه الأفعال إلى نفسه؛ لكونه سببًا فيها.

3. **ما اسم الطير الذي كان يصوره عيسى – عليه السلام – فينفخ فيه فيكون طيرًا؟**

ذكر بعض المفسرين: أنه الخفاش، وقد طلب بنو إسرائيل هذا الطائر بالذات لما فيه من العجب، حيث إنه يلد ولا يبيض، ويحيض ويطهر، وله ناب وأسنان، وأنثاه لها ثديان!!

والذي يبدو أن هذا التحديد لاسم الطائر أنه الخفاش مأخوذ من الإسرائيليات، هذا من جهة، ومن جهة أخرى الخفاش ليس بطائر؛ **لذا الصواب:** عدم القطع باسم هذا الطائر أنه الخفاش، أو غير الخفاش؛ لعدم وجود الدليل الصحيح الذي يقطع باسمه.

4. **لِمَ خَصّ عيسى – عليه السلام – الأكمه بالذكر دون الأعمى؟**

خَصّ عيسى – عليه السلام – الأكمه بالذكر دون الأعمى؛ لئن معالجة الأكمه أصعب من معالجة الأعمى، حيث إن الأكمه من ولد أعمى، بينما الأعمى قد يكون عماه لعارض قد أصابه في حياته، بعدما كان مبصرًا، فيكون معالجة هذا العارض أهون وأيسر من معالجة المولود أساسًا أعمى.

5. مَنْ هم الذين أحياهم عيسى عليه السلام؟

ذكر أن عيسى قد أحيا أربعة أنفس، وهم: " عازر وكان صديقًا له، وابن العجوز، وبنت العاشر، وسام بن نوح." (القرطبي: 2002)

والذي يبدو أن ذلك مصده من الإسرائيليات، وهو غريب جدًّا؛ **لذا الصواب:** عدم القطع بأسماء مَنْ أحياهم عيسى، ونكتفي بأن نقول: كان عيسى – عليه السلام – يحيى الموتى بإذن الله تعالى.

6. لِمَ كرر عيسى – عليه السلام – لفظ ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ (آل عمران:49) مرتين؟

كرر عيسى – عليه السلام – لفظ بإذن الله؛ ليدفع توهم ألوهيته، لاسيما أنه قد قال: ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ

كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ (آل عمران:49)

7. **لِمَ ذكر عيسى لفظ ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ (آل عمران:49) في سورة آل عمران مرتين، بينما ذكر لفظ ﴿بِإِذْنِي﴾ (المائدة: 110) فس سورة المائدة أربع مرات؟**

قال الأنصاري: " ذكرها (في سورة آل عمران) مرتين بهذا اللفظ ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ (آل عمران:49) ، وفي المائدة أربعًا بلفظ ﴿بِإِذْنِي﴾ (المائدة: 110)؛ لأنه (في سورة آل عمران) من كلام عيسى، ثم (في سورة المائدة) من كلام الله." (زكريا الأنصاري: 2003)

8. **لِمَ خَصّ الله تعالى عيسى – عليه السلام – بهذه المعجزات بالذات؟**

قال فضل عباس: " إن من حكمة الله سبحانه أن تكون المعجزة منسجمة مع أحوال الناس الذين ظهرت فيهم؛ ذلك لئن الناس يختلفون باختلاف أزمنتهم وأمكنتهم، فإذا كانت غاية المعجزة أن يرى الناس فيها صدق الرسول، وقيام الدليل على صحة دعواه، كان لا بد أن تكون هذه المعجزة جارية مع تفكيرهم، ومع طبيعة بيئتهم.

ومعجزة عيسى – عليه الصلاة والسلام – منسجمة مع البيئة؛ ذلك لئن العهد الذي أرسل فيه – عليه الصلاة والسلام – كان عهدًا قد طغت عليه المادة بخاصة على بني إسرائيل، حيث قطعوا كل صلة بينهم وبين شريعة موسى، فكانت معجزته – إذن – تقويضًا للمادة رأسًا على عقب، وصفعة للماديين، وليس الأمر كما قيل من أن القوم قد برعوا في الطب، فكانت معجزته – عليه الصلاة والسلام – مما برعوا فيه؛ ذلك أنه لم يثبت أن القوم برعوا في الطب أولًا، وأما ثانيًا فلئن معجزاته – عليه الصلاة والسلام – ليست مما للطب فيه حيلة معروفة.

فإحياء الموتى أمر ليس للطب فيه مجال، كذلك إبراء الأكمه والأبرص؛ لئن الأكمه من ولد ممسوح مكان العينين، وهذا من الأمور التي لا يستطيعها الطب أبدًا، ولا يزال الطب عاجزًا عن مداواة البرص، وكذلك إخباره – عليه الصلاة والسلام – عما يأكلونه ويدخرونه في بيوتهم بعيد عن مجال الطب." (فضل عباس وسناء عباس)

فضائل عيسى عليه السلام:

عيسى – عليه السلام – أحد أولي العزم من الرسل، ومن الخمسة الذين تدور عليهم الشفاعة يوم الدين، وقد ذكره الله تعالى ذكرًا حسنًا في كتابه الكريم، وذلك في مواضع عدة، منها:

قال تعالى: ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٤٥﴾ (آل عمران: 45)

وفي تبشير الملائكة مريم بعيسى – عليه السلام – دليل على فضل عيسى وشرفه، وقد لقبه تعالى بالمسيح وكلمته وروح منه، فأنعم بها من ألقاب!

ووصفه بأنه وجيه في الدنيا والآخرة! وأنه من المقربين!

قال العدوي: " أما وجاهته في الدنيا عند الله سبحانه وتعالى فيما اجتباه به ربه من النبوة والرسالة والإنجيل، الذي أنزله عليه، وأيضًا عند الناس بما أجرى الله على يديه من شفاء الأسقام (الأكمه والأعمى والأبرص)، وإحياء الموتى بإذن الله، وكونه مباركًا أينما كان عليه الصلاة والسلام.

أما وجاهته في الآخرة فمنها علو منزلته في الآخرة؛ لأنه من أولي العزم من الرسل، وشفاعته فيمن يشفعه الله فيه، والله تعالى أعلم." (مصطفى العدوي: 2002)

وقال تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ (آل عمران: 46)

فذكرت هذه الآية فضائل عظيمة سنية لعيسى، وهي:

تكليم عيسى – عليه السلام – للناس وهو في المهد، وتكليمه لهم حال كولته بما ينفعهم في دنياهم وآخرتهم (الكهولة تبدأ من سنّ (35) سنة أو (40) سنة، وتنتهي عند سنّ (50) سنة)، ومنحه وسامًا إلهيًا رفيعًا، وهو: ﴿وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ (آل عمران: 46) فأنعم به من وسام!!

لطيفة: الناس كلهم يتكلمون في حال كهولتهم، فما وجه الإعجاز في تكليم عيسى للناس في كهولته؟

قال العدوي:

- أنه – عليه السلام – كما أنه كان معجزة في تكليمه للناس في المهد، فإنه سيكلمهم بالوحي والنبوة في كهولته، وهذا وجه إعجاز أيضًا.
- أنه سيعيش حتى يكون كهلًا، وفي هذا أيضًا إعجاز لكونه إخبارًا بالغيب، وتبشيرًا لأمه بأنه سيعيش حتى الكهولة عليه السلام. (مصطفى العدوي: 2002)

ومن فضائل عيسى أنه قد ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم: " **ما من مولود يولد إلا يمسّه الشيطان حين يولد، فيستهل صارخًا من مسّ الشيطان غير مريم وابنها**" (رواه البخاري: (3431) واللفظ له، ومسلم: (2366))

وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: " **من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، والجنة حقّ، والنار حقّ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل.**" (رواه البخاري: 3435)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **إذا أدب الرجل أمته، فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها فتزوجها، كان له أجران، وإذا آمن بعيسى ابن مريم، ثم آمن بي فله أجران، والعبد إذا اتقى ربه، وأطاع مواليه، فله أجران.**" (رواه البخاري: (3446)، ومسلم: (154))

ومن فضائل عيسى كذلك أنه قد كان ذا سجية طاهرة، وبراءة نقية، وسريرة طيبة لا تعرف الدخل والخداع، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **رأى عيسى ابن مريم رجلًا يسرق، فقال له أسرقت؟ قال: كلا والذي لا إله إلا هو، فقال عيسى: آمنت بالله وكذبت عيسى.**" (رواه البخاري: (3444)، ومسلم: (2368))

فشأن الحلف بالله عظيم، ولا يعرف قيمته إلا مؤمن عارف بربه، ولا يتهاون به إلا ضعيف الإيمان، وفي هذا الحديث يحكي النبي – صلى الله عليه وسلم – ما وقع لنبي الله عيسى – عليه السلام – حين رأى رجلًا يسرق مالًا، فوبخه عيسى: أسرقت؟ وبدلًا من أن يعترف الرجل بذنبه أو يستغفر منه، يقسم بأغلظ الأيمان أنه لم يسرق شيئًا، وعيسى – عليه السلام – نبي عظيم يعرف قيمة اليمين؛ لذلك أرجع الخطأ إلى عينه، وألقى التهمة على نفسه، قال ابن القيم معلقًا على ذلك: " والحق أن الله كان

في قلبه أجل من أن يتعلق به أحد كاذبًا، فدار الأمر بين تهمة الحالف وتهمة البصر، فرد التهمة إلى بصره، ويحتمل أن يكون هذا الرجل أخذ ماله الذي فيه حقّ، أو يكون الشيء المسروق قد أخذ منه، وإن صاحبه بعد تيقن أذن له، أو أنه رآه مد يده إلى الشيء، فظن أنه سرقه، فلما حلف له رجع عن ظنه، الحاصل: أن عيسى لم يكن خبأ والخباء لا يخدعه."

ومن فضائل عيسى وصف الرسول - صلى الله عليه وسلم - له بالعبد الصالح، حيث قال: " **تحشرون حفاة عراة غرلًا، ثم قرأ** ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ **(الأنبياء: 104) فأول من يكسى إبراهيم، ثم يؤخذ برجال من أصحابي ذات اليمين وذات الشمال، فأقول: أصحابي، فيقال: إنهم لن يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول كما قال العبد الصالح عيسى ابن مريم:** ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ **(المائدة: 117- 118)**" (رواه البخاري: 3447)

ومن فضائله – عليه السلام – أنه سينزل آخر الزمان، فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ولا يقبل إلا الإسلام، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عادلًا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها.**"

ثم يقول أبو هريرة: " واقرؤوا إن شئتم ﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ١٥٩﴾ (النساء: ١٥٩)" (رواه البخاري: 3447)

ومن فضائله – عليه السلام – أن هلاك الدجال سيكون على يديه، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **يخرج الدجال في أمتي ... (فذكر الحديث، وفيه): فيبعث الله عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود، فيطلبه، فيهلكه.**" (رواه مسلم: 2940)

فإن الدجال يخرج في الأرض، ويطوفها كلها إلا مكة والمدينة، ويكثر أتباعه، وتعم الفتنة، ولا ينجو منها إلا قلة قليلة من المؤمنين، وعلى خوف شديد من الدجال.

عند ذلك ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام، ويكون مكان نزوله على المنارة الشرقية بدمشق، وما أن يعرفه المؤمنون إلا ويلتفوا حوله، فيسير بهم عيسى قاصدًا الدجال وجنده.

يقول الوابل: " ويكون الدجال عند نزول عيسى متوجهًا نحو بيت المقدس، فيلحق به عيسى عند باب لدّ (واللد بلدة في فلسطين)، فإذا رآه الدجال؛ ذاب كما يذوب الملح، فيقول له عيسى عليه السلام: " إن لي فيك ضربة لن تفوتني"، فيتداركه عيسى، فيقتله بحربته، وينهزم أتباعه، فيتبعهم المؤمنون، فيقتلونهم حتى يقول الشجر والحجر يا مسلم! يا عبد الله! هذا يهودي خلفي، تعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود." (يوسف الوابل: 1994)

وبقتل الدجال تكون نهاية أعظم فتنة في الأرض على يد أعظم أنبياء بني إسرائيل عيسى عليه السلام، فأنعم به من نبي كريم!

ومن فضائل عيسى عليه السلام، أنه في السماء الثانية عند الرحمن، ففي الحديث: " **ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه، قال: نعم، قيل: مرحبًا به، فنعم المجيء جاء ففتح، فلما خلصت إذ يحيى وعيسى، وهما ابنا**

الخالة، قال: هذا يحيى وعيسى، فسلم عليهما فسلمت فردا، ثم قالا: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح." (رواه البخاري: (3207) واللفظ له، ومسلم: (164))

الإسرائيليات الواردة في قصة عيسى عليه السلام والتحذير منها:

رويت في قصة عيسى روايات إسرائيلية منكرة شوهت قصة عيسى – عليه السلام – العطرة، وأذهبتها عن هدفها، وتنقصت من قدر عيسى عليه السلام.

ويا للأسف قد انخدع بعض المفسرين بها تحسينًا للظن بها، أو أنها من الجائز روايتها، فملئت كتب التفسير بها، وقد نبهناك إلى طرف منها أثناء حديثنا عن قصة عيسى عليه السلام، وها نحن الآن ننبهك إلى طرف آخر منها؛ لتكن على حذر منها.

ذكر وهب بن منبه: " أنه لما خرت الأصنام يومئذ في مشارق الأرض ومغاربها، وأن الشياطين حارت في سبب ذلك، حتى كشف لهم إبليس الكبير أمر عيسى، فوجدوه في حجر أمه، والملائكة محدقة به، وأنه ظهر نجم عظيم في السماء، وأن ملك الفرس أشفق من ظهوره، فسأل الكهنة عن ذلك، فقالوا: هذا لمولد

عظيم في الأرض، فبعث رسله ومعهم ذهب ومر ولبان هدية إلى عيسى، فلما قدموا الشام سألهم ملكها عما أقدمهم، فذكروا له ذلك، فسأل عن ذلك الوقت، فإذا قدر ولد فيه عيسى ابن مريم ببيت المقدس." (ابن كثير: 2002)

وفي هذا الخبر مبالغة وزيادات منكرة لا تصح.

وقد ألصقت بعيسى – عليه السلام – أقوال في الرقائق كثيرة، غالبيتها ليس لها سندًا صحيحًا.

ووصفوه بأنه: " كان عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا ابني خالة، وكان عيسى يلبس الصوف، وكان يحيى يلبس الوبر، ولم يكن لواحد منهما دينار ولا درهم، ولا عبد ولا أمة، ولا مأوى يأويان إليه، أين ما جاءهما الليل أويا." (ابن كثير: 2002)

ووصفوه أنه كان يأكل أوراق الشجر.

وكما ترى فقد خلطوا وصف صالح بآخر سيئ، فوصفوه بالزهد، ثم وصفوه كأنه متشرد، وحاشاه الله أن يكون كذلك، حيث وصفوه أنه لا أهل له ولا زوجة ولا مال ولا بيت، هائم على وجه في البراري، أينما حلّ ينام، وما وجد أكل، وما وجد لبس.

كما صوره أنه إنسان عاطل عن العمل بليد وحاشاه الله، حيث صوره أنه كان يأكل من عمل أمه في الغزل قاتلهم الله أنى يؤفكون!

الفوائد المستفادة من قصة عيسى عليه السلام:

1. الذين تكلموا في المهد:

الذين ثبت أنهم تكلموا في المهد خمسة، وهم:

أ. **عيسى عليه الصلاة والسلام:**

قال تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ
جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ
سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟
كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ
ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا
كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا
بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ
وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾ (مريم: 27 –
33)

ب. غلام جُريح:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: " **لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى، وكان في بني اسرائيل رجل يقال له: جُريح، كان يصلي، جاءته أمه فدعته، فقال: أجيبها أو أصلي، فقالت: اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات، وكان جُريح في صومعته، فتعرضت له امرأة وكلمته فأبى، فأتت راعيًا فأمكنته من نفسها، فولدت غلامًا، فقالت: مِنْ جُريج، فأتوه، فكسروا صومعته، وأنزلوه وسبوه.**

فتوضأ وصلى ثم أتى الغلام، فقال: من أبوك يا غلام؟ قال: الراعي.

قالوا: نبني صومعتك من ذهب؟

قال: لا إلا من طين." (رواه البخاري: (3436)، ومسلم: (2550))

ج. غلام أصحاب الأخدود:

قال صلى الله عليه وسلم: " **كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر ....،** (فذكر الحديث، وفيه): " **فأمر بالأخدود في أفواه السكك، فَخُدِّتْ وأضرم النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه، فأحموه فيها، أو قيل له: اقتحم. ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها، فتقاعست أن تقع فيها، فقال**

لها الغلام: يا أمة، اصبري فإنك على الحق. " (رواه مسلم: (3005)، والترمذي: (3340))

د. **ابن ماشطة فرعون:**

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **لما كانت الليلة التي أُسري بي فيها، أتت عليّ رائحة طيبة، فقلت: يا جبريل، ما هذه الرائحة الطيبة؟**

فقال: هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها، قال: قلت: وما شأنها؟ قال: بينما هي تمشط ابنة فرعون ذات يوم إذ سقطت المِدْرَى من يديها، فقالت: باسم الله.

فقالت لها ابنة فرعون: أبي؟

قالت: لا، ولكن ربي ورب أبيك الله.

قالت: أخبره بذلك؟

قالت: نعم فأخبرته، فدعاها، فقال: يا فلانة، وإن لك ربًا غيري؟

قالت: نعم، ربي وربك الله.

فأمر ببقرة من نحاس، فأحميت، ثم أمر بها أن تلقى هي وأولادها فيها.

قالت له: إن لي إليك حاجة.

قال: وما حاجتك؟

قالت: أحب أن تجمع عظامي وعظام ولدي في ثوب واحد وتدفننا.

قال: ذلك لك علينا من الحق.

قال: فأمر بأولادها فألقوا بين يديها، واحدًا واحدًا، إلى أن انتهى ذلك إلى صبي لها مرضع، وكأنها تقاعست من أجله.

قال: يا أمه، اقتحمي، فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة فاقتحمت." (رواه أحمد: (2821) واللفظ له، والبزار: (5067)، وأبو يعلى: (2517)) والحديث صحيح.

هـ. الطفل الذي تحدث عندما كانت أمه ترضعه:

فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: " **وكانت امرأة ترضع ابنًا لها من بني إسرائيل، فمرّ رجل راكب ذو شارة، فقالت: اللهم اجعل ابني مثله، فترك ثديها، وأقبل على الراكب، فقال: اللهم لا تجعلني مثله، ثم أقبل على ثديها يمصه – قال أبو هريرة: كأني أنظر إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – يمص أصبعه – ثم مُرّ بأمة، فقالت: اللهم لا تجعل ابني مثل هذه، فترك ثديها، فقال: اللهم اجعلني مثلها، فقالت: لم ذاك؟ فقال: الراكب جبار من الجبابرة، وهذه الأمة يقولون: سرقت، زنيت، ولم تفعل."** (رواه: البخاري: (3436) ومسلم: (2550)

تنويه: يضيف بعض العلماء اثنين تكلما في المهد، وهما: شاهد يوسف، ابن رجل اليمامة.

شاهد يوسف: حيث فسر الشاهد في قوله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ (يوسف: 26)، أنه طفل قد تكلم في المهد، ونطق بالشهادة.

قال القرطبي: " وهذا لا يوجد فيه مستند، وما ورد من أحاديث صحيحة ليس فيها أن من الذين تكلموا في المهد شاهد يوسف، لا سيما إذا كان الشاهد هو الصبي، لكانت شهادته ليوسف لا تغني عن أن يأتي بدليل من العادة؛ لئن كلام الطفل آية ومعجزة، فكانت أوضح من الاستدلال بالعادة." (القرطبي : 2002)

ابن رجل اليمامة:

قال البيهقي : " بعد أن ذكر سنده الذي في آخره: " حدثني معرض بن عبد الله بن معرض بن معيقيب اليماني عن أبيه عن جده، قال: حججت حجة الوداع، فدخلت دارًا بمكة، فرأيت فيها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ووجهه مثل دارة القمر،

وسمعت منه عجبًا، جاءه رجل بغلام يوم ولد، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أنا؟

قال: أنت رسول الله، قال: صدقت بارك الله فيك، ثم قال : إن الغلام لم يتكلم بعد ذلك حتى شبّ، قال أبي: فكنا نسميه مبارك اليمامة، قال: شاصونه! وقد كنت أمرّ على معمر فلم أسمع عنه." (مصطفى مراد: 1999)

قال ابن كثير: " هذا الحديث مما تكلم الناس في محمد بن يونس بسببه، وأنكروه عليه، واستغربوا شيخه هذا." مصطفى مراد: 1999)

2.الأعوان على الحق:

قال الكحلوت: " من نعم الله تعالى على الداعية أن يجد له على الحق أعوانًا وأنصارًا، فقد مَنّ تعالى على رسوله عيسى بأن هيأ الله تعالى له الحواريين، آمنوا به وبما جاء به من عند الله، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى﴾ (المائدة: 111)

ومثله: امتن الله على رسوله بأن أيده بالمؤمنين، وألف بينهم على عقيدة الإسلام، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ

جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ (الأنفال: 62- 63)

وعلى الجماعة المسلمة أن تسعى دائمًا في تكثير الدعاة المؤمنين، الصادقين العاملين؛ ليتعاونوا في محبة الله على طاعته، والعمل بمقتضى شريعته." (عدنان الكحلوت: 2011)

ويطرح هنا سؤال: هل يجوز للإنسان أن يتمنى نصرة قومه له، أو يطلب نصرته منهم؟

قال العدوي: " نعم، يجوز ذلك والله أعلم، قال عيسى عيه السلام: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ (الصف: 14)

وقال لوط عليه السلام: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ (هود: 80)

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: " **ألا رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشًا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي عز وجل.**" (رواه أبو داود: (4734)، والترمذي: (6925))

وقال موسى عليه السلام: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ٣٥﴾ (طه: 29 –35)

وقال النبي عليه الصلاة والسلام: " **اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك: بأبي جهل بن هشام، أو عمر بن الخطاب.**" (رواه الترمذي: (3681)، وابن حبان: (3179))" (مصطفى العدوي: 2002)

3. بشارة عيسى بمحمد عليهما الصلاة والسلام:

جاء في الحديث الصحيح: أنه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : " **يا نبي الله ما كان أول بدء أمرك, قال: دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى.**" (رواه أحمد, وصححه الألباني)

فعيسى عليه السلام خاتم أنبياء بني إسرائيل بشر بمحمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء أجمعين, ونوه باسمه الشريف؛ ليعرفوه, ويعرفوا صفته, ويتبعوه إذا شاهدوه.

حيث قال عليه السلام: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ

أَحْمَدُ﴾ (الصف: 6) أي: قال عيسى لبني إسرائيل: إني رسول الله إليكم مصدقًا ومعترفًا بأحكام التوراة, وجميع الكتب السماوية السابقة؛ لذا جميع ما جئت به من أقوال وأوامر لا تخالف شريعة موسى القديمة, فَلِمَ تنفروا عني؟! كما أني جئتكم لأبشركم ببعثة الرسول الأمي الذي سيأتي من بعدي واسمه أحمد.

وهنا تطرح تساؤلات:

1. لِمَ خَصّ عيسى – عليه السلام – اسم أحمد بالذكر بالذات دون سائر أسمائه؟

خَصّ عيسى – عليه السلام – اسم أحمد بالذكر من بين سائر أسماء الرسول – صلى الله عليه وسلم بالذات؛ لئن هذا الاسم علم لمحمد صلى الله عليه وسلم؛ لذا قال حسان بن ثابت:

صلى الإله ومن يحف بعرشه والطيبون على المبارك أحمد

2. لِمَ قال عيسى: (يا بني إسرائيل), ولم يقل: (يا قوم)؟

قال القرطبي: " ولم يقل: (يا قوم)، كما قال موسى؛ لأنه لا نسب فيهم فيكونون قومه." (القرطبي: 2002)

وقال الصابوني: " حيث إنه لم يكن له فيهم أب." (محمد الصابوني)

3. هل اسم محمد – صلى الله عليه وسلم – مكتوب في التوراة والإنجيل؟

نعم, اسم محمد – صلى الله عليه وسلم – مكتوب في التوراة والإنجيل, قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴿١٥٧﴾﴾ (الأعراف: 157)

وقد مرّ معنا أن إنجيل برنابا، والذي لا تعترف به الكنيسة، مذكور فيه أوصاف النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

4. كم كان مقدار المدة التي بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ؟

ذكرت أقوال, منها:

ستمئة سنة, وخمسمئة وأربعون سنة, وأربعمئة سنة, وستون سنة، وبضع وثلاثون سنة.

والصواب: أنها ستمئة سنة.

وقد ذكر ابن كثير: " قيل ستمئة وعشرون سنة بالقمرية؛ لتكون ستمئة بالشمسية, والله أعلم." (ابن كثير: 2002)

4.قصة المباهلة:

قال تعالى: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا

وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ (آل عمران: 60- 61)

فهذه الآية تسمى آية المباهلة.

والمباهلة والابتهال لغة: هي في الأصل: " الملاعنة، وفعله الثلاثي: بهله بهلًا، واسم الفاعل باهل، والأنثى باهلة." (محيي الدين الدرويش: 2001)

وهي الاجتماع بين الخصمين، واطلقت على كل دعاء خيرًا كان أو شرًّا، وإن لم يكن لعانًا.

والمباهلة اصطلاحًا: هي أن يجتمع الخصمان لإبطال الباطل، وإحقاق الحق، وذلك عند الاختلاف في شيء ما، ويُلعن الظالم منهما.

ما قصة آية المباهلة؟

قال ابن كثير: " لما قدم وفد نجران وكانوا ستين راكبًا يرجع أمرهم إلى أربعة عشر منهم، ويؤول أمر الجميع إلى ثلاثة هم أشرافهم وساداتهم، وهم: العاقب، والسيد، وأبو حارثة بن علقمة، فجعلوا يناظرون في أمر المسيح، فأنزل الله صدر سورة آل عمران في ذلك، وبين أمر المسيح، وابتداء خلقه، وخلق أمه من

قبله، وأمر رسوله بأن يباهلهم إن لم يستجيبوا له ويتبعوه." (ابن كثير: 2002)

هل تمت المباهلة بين الرسول – صلى الله عليه وسلم – وبين وفد نجران؟

لا، لم تتم المباهلة، فقد قال حذيفة بن اليمان: جاء العاقب والسيد صاحب نجران إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يريدان أن يلاعناه، قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل فوالله إن كان نبيًّا فلاعناه لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا، قالا: إنا نعطيك ما سألتنا، وابعث معنا رجلًا أمينًا، ولا تبعث معنا إلا رجلًا أمينًا، فقال: " **لأبعثن معكم رجلًا أمينًا حق أمين**"، فاستشرف لها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: " **قم يا أبا عبيدة بن الجراح**"، فلما قام قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**هذا أمين هذه الأمة.**" (رواه البخاري: (4380)، ومسلم: (2420))

ماذا كان سيحدث إن لاعن وفد نجران الرسول صلى الله عليه وسلم؟

عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: " قال أبو جهل: إن رأيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يصلي عند الكعبة لآتينه حتى أطأ على عنقه، قال: فقال: لو فعل لأخذته الملائكة

عيانًا، ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا، ورأوا مقاعدهم من النار، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله –صلى الله عليه وسلم – لرجعوا لا يجدون مالًا ولا أهلًا." (رواه الترمذي: (3348)، والنسائي: (11601) وأحمد: (2225) واللفظ له) والحديث صحيح.

هل تجوز المباهلة بين المسلمين؟

قال العدوي: " تجوز المباهلة بين المسلمين عند الضرورة القصوى، نحو أن يكون هناك حقّ يبطل، وباطل يثبت، وقدم النصح والتذكير ولم يجدِ، وأقيمت الحجة، وأزيلت الشبهة، ولم ينفع ذلك أيضًا، فحينئذ تكون المباهلة؛ لإثبات الحق وإبطال الباطل، فاللعان مثلًا من صور المباهلة، وأن لم يشابهها في كثير من الوجوه." (مصطفى العدوي: 2002)

وعليه تكون المباهلة بين المسلمين جائزة عند تحقق الشروط الآتية:

- إخلاصُ النيَّةُ للهِ – سبحانه وتعالى – بحيث يكون غرضُ المباهلةِ إحقاق الحقِّ ونصرته، وإبطال الباطلِ ودحضه، وخذلان أهلهِ، ولا يكون القصدُ من المباهلةِ غلبة الطرفِ الآخر والتشفِّيَ به، أو يكونَ القصدُ حبَّ الظهورِ،

والانتصار لهوى النفسِ وغيرِ ذلك من النوايا المفسدة للمباهلةِ.

- اللجوءُ إلى المباهلةِ بعدَ قيامِ الحُجَّةِ على الفريقِ المُخالفِ؛ بالأدلّةِ والبراهينِ الواضحةِ القاطعةِ الصحيحةِ.
- إصرارُ الفريقِ المخالفِ على الباطلِ وعناده للحقِّ واتباعه لهواه؛ فالمباهلةُ تؤدّي إلى غضبِ اللهِ تعالى ولعنتهِ على المخالفِ، وذلك لا يجوزُ إلّا للمخالفِ حقيقةً.
- لا تكون المباهلةُ إلّا في أمورِ الدينِ المهمَّةِ التي تحقّقُ مصلحةَ المسلمينَ وتدفعُ الشرورَ عنهم، فلا تجوزُ المباهلةُ في المسائلِ الفرعيةِ الاجتهاديَّةِ المختلَف فيها.

مَنِ المراد بأبناء الرسول – صلى الله عليه وسلم – ونسائه في قوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ﴾ **(آل عمران: 61)؟**

الإجابة على ذلك نجدها في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: لما أنزل الله هذه الآية ﴿تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ﴾ **(آل عمران: 61)**، دعا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عليًّا وفاطمة وحسنًا وحسينًا، فقال: "**اللهم هؤلاء أهلي.**" (رواه الترمذي: (2999)) والحديث صحيح.

لما كان القصد من المباهلة تبين الصادق من الكاذب من المتباهلين فَلِمَ ضُم الأبناء والنساء للمباهلة؟

قال العدوي: " ضُم الأبناء والنساء في المباهلة؛ ليدل ذلك على ثقة المباهل بحاله واستيقانه بصدقه، حيث تجرأ على تعريض أعزته للهلاك؛ وليدل ذلك أيضًا على ثقته بكذب خصمه؛ ولأجل أن يهلك خصمه مع أعزته جميعًا لو تمت المباهلة." (مصطفى العدوي: 2002)

5. نزول عيسى عليه السلام:

مرَّ معنا أن الله قد نجا عيسى – عليه السلام – من شرّ اليهود عندما عزموا على قتل عيسى عليه السلام، بأن رفعه إلى السماء جسدًا وروحًا، فعيسى – عليه السلام – هو الآن حي في السماء، قال الحسن: " والله إنه الآن حي عند الله." (ابن جرير الطبري: 2002)

وسينزل عيسى – عليه السلام – آخر الزمان، قال السفاريني: " فقد اجتمعت الأمة على نزوله، ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة، وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة ممن لا يعتد بخلافه." (محمد صديق خان)

صفة نزوله عليه السلام:

قال الوابل: " بعد خروج الدجال، وإفساده في الأرض، يبعث الله عيسى عليه السلام، فينزل إلى الأرض، ويكون نزوله عند المنارة البيضاء شرقي دمشق الشام، وعليه مهرودتان (أي: لابس مهرودتين؛ أي ثوبين مصبوغين بورس ثم زعفران) واضعًا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان اللؤلؤ، ولا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، ويكون نزوله على الطائفة المنصورة التي تقاتل على الحقّ، وتكون مجتمعة لقتال الدجال، فينزل وقت إقامة الصلاة، يصلي خلف أمير تلك الطائفة." (يوسف الوابل: 1994)

ما الحكمة في نزول عيسى – عليه السلام – دون غيره من الأنبياء؟

تلمس أهل العلم الحكمة من نزول عيسى – عليه السلام – دون غيره من الأنبياء، فقالوا:

1. نزوله كان أشبه بردّ عملي على اليهود الزاعمين أنهم قد قتلوا عيسى عليه السلام، وبنزول عيسى يكون قد فضح الله تعالى كذبهم.
2. إن نزول عيسى – عليه السلام – من السماء؛ لدنو أجله؛ ليدفنن في الأرض، إذ ليس لمخلوق من التراب أن يموت في

غيرها، فيوافق نزوله خروج الدجال، فيقتله عيسى عليه السلام. (يوسف الوابل: 1994)

3. إنه ينزل مكذبًا للنصارى، فيظهر زيفهم في دعواهم الأباطيل، ويهلك الله الملل كلها في زمنه إلا الإسلام، فإنه يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية. (يوسف الوابل: 1994)

فائدة: عندما ينزل عيسى آخر الزمان سوف يؤمنن بعيسى من سيكون موجودًا من أهل الكتاب، كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا﴾ (النساء: 159) أي: " وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى." (ابن جرير الطبري: 2002)

وقيل: معنى الآية أي: إن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت أهل الكتاب، ولكن هذا القول بعيد، والصواب ما قاله ابن جرير، والله أعلم.

بم سيحكم – عليه السلام – عند نزوله إلى الأرض؟

قال النبهاني: " ويكون المسيح مقررًا للشريعة النبوية لا رسولًا إلى هذه الأمة، ويكون قد علم بأمر الله في السماء قبل أن ينزل وهو نبي، ومع ذلك فهو من أمة محمد صلى الله عليه وسلم." (يوسف النبهاني: 2000)

وقال الوابل: " يحكم عيسى – عليه السلام – بالشريعة المحمدية، ويكون من أتباع محمد صلى الله عليه وسلم؛ فإنه لا ينزل بشرع جديد؛ لئن دين الإسلام خاتم الأديان، وباق إلى قيام الساعة، لا ينسخ، فيكون عيسى عليه السلام، حاكمًا من حكام هذه الأمة مجدداً لأمر الإسلام، إذ لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم." (يوسف الوابل: 1994)

مدة بقاء عيسى – عليه السلام – بعد نزوله ثم موته:

بعد نزول عيسى إلى الأرض، وتطهيرها من فتنة الدجال، يمكث عيسى في الأرض عدة سنين.

كم يمكث عيسى في الأرض حتى يتوفاه الله؟

اختلف العلماء في مقدار بقاء عيسى في الأرض بعد نزوله من السماء على قولين مشهورين:

القول الأول: يمكث في الأرض سبع سنين، فقد روي بن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: " **فيبعث الله عيسى ابن مريم ...** (فذكر الحديث، وفيه): **ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحًا باردة من قبل الشأم، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خيرًا، أو إيمان إلا قبضته.**" (رواه مسلم: 2940)

القول الثاني: يمكث في الأرض أربعين سنة، ففي رواية أحمد وأبي داود: " **فيمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون.**" (رواه أحمد: (9270)، وأبو داود: (4324)) والحديث صحيح.

قال الوابل: " وكلا هاتين الروايتين صحيحتين، وهذا مشكل؛ إلا أن تحمل رواية السبع سنين على مدة إقامته بعد نزوله، ويكون ذلك مضافًا إلى مكثه في الأرض قبل رفعه إلى السماء، وكان عمره إذ ذاك ثلاثًا وثلاثين سنة على المشهور، والله أعلم." (يوسف الوابل: 1994)

هل سيتزوج عيسى في هذه الفترة؟

لم يرد في صحيح القرآن أو السنة الصحيحة نص يدل على إثبات أو نفي زواج عيسى ابن مريم عليه السلام، سواء قبل رفعه إلى السماء أو بعد نزوله آخر الزمان، وإن كان في القرآن الكريم ما يدل على أن الزواج عمومًا من هدي المرسلين، فقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ (الرعد: 38)، وذلك لا يمنع أن يكون بعضهم مستثنى من ذلك، وهذا الاستثناء كان كمالًا في حقه وفي شريعته، كما أن زواج الأنبياء – عمومًا – وما أوتوا من الأزواج

والذرية، كان كمالًا لهم، وإن ثبت تَرْك عيسى – عليه السلام – الزواج، فلعل ذلك لعارض قد أمره الله تعالى بسببه.

ومن الجدير بالذكر: أن كاتب غربي اسمه (دان براون) قد ألف رواية باسم (شيفرة دافنشي أو سر داوينجي)، وذكر فيها أن عيسى المسيح قد تزوج من امرأة زانية اسمها (مريم المجدولية)، وكان لهما ابنة اسمها (سارة).

وما ذكره دان براون ما هو إلا إثارة لمواضيع حساسة لدى الكنائس الغربية لقصد الإثارة وتحقيق الأرباح فقط، وليس بغرض البحث العلمي، ولا التحقيق التاريخي، وقد أثارت هذه الرواية جدلًا واسعًا في الأوساط النصرانية، وكتب الكثيرون منهم ردودًا على ما جاء فيها من تفصيلات تعارضها الكنيسة.

وأما نحن المسلمين فنقول: المسيح عيسى ابن مريم – عليه السلام – من أولي العزم من الرسل، وهو كلمة الله ألقاها إلى مريم وروح منه وأما أنه تزوج أو لم يتزوج، فأي الأمرين وقع له، فهو فضل وكمال في حقه، ولا ينقص من قدره عند الله شيئًا، والله أعلم.

على كل حال يمكث عيسى في الأرض ما شاء الله أن يمكث، وتكون هذه المدة من أفضل الأزمنة على البشر، حتى أن الأمن والسلام سيعمّ جميع أصقاع الأرض، وتكثر الخيرات من زروع وثمار، وتعمّ البركة كل شيء، ويكثر المال حتى لا يجد من يأخذه، وتذهب الشحناء والتحاسد والبغضاء، وتحل المحبة والوفاء والتودد بين الناس.

قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في حديث النواس بن سمعان الطويل: " **ثم يرسل الله مطرًا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة** (أي: المرآة حيث شبهه الأرض بالمرآة لصفاء الأرض ونظافتها)، **ثم يقال: للأرض أنبتي ثمرتك، وردي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقحفها، ويبارك في الرسل** (أي: اللبن)، **حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس.**" (رواه: 2937)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **والله لينزلن عيسى ابن مريم حكمًا عادلًا، فليكسرن الصليب، وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية، ولتتركن القلاص** (أي: النوق الشابة)، **فلا يسعى عليها، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليدعون**

إلى المال فلا يقبله أحد." (رواه البخاري: (3448)، ومسلم: (155))

قال النووي: " ومعناه أن يزهد الناس فيها – أي: الإبل – ولا يرغب في اقتنائها؛ لكثرة الأموال، وقلة الآمال، وعدم الحاجة، أو العلم بقرب القيامة." (يوسف الوابل :1994)

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: " **ثم تقع الأمنة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم.**" (رواه البخاري: (3443) مختصرًا، وأحمد: (9270) واللفظ له، وأبو داود: (4324))

الحاصل: يمكث عيسى في الأرض فترة هي من أفضل فترات البشرية جمعاء، ثم يموت كما يموت البشر، ويصلي عليه المسلمون ويدفن.

أين سيدفن عيسى؟

ذكر أنه سيدفن في الحجرة النبوية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصاحبيه.

قال عبد الله بن سلام: " مكتوب في التوراة صفة محمد وعيسى ابن مريم عليهما السلام، يدفن معه، وقال أبو مودود: وقد بقي من البيت موضع قبر." (ابن كثير: 2002)

ومن الواضح أن ذلك من الإسرائيليات؛ **لذا الصواب:** لا يعرف أين سيدفن عيسى – عليه السلام – عندما يموت.

الخاتمة

أكثر أمة أُرسل إليها الأنبياء والرسل هي أمة بني إسرائيل، ورغم كثرة أنبياء هذه الأمة إلا أنها أكثر الأمم التي انحرفت عن الجادة، وتنكبت الصراط المستقيم.

ورغم كل انحراف اليهود واعوجاجهم، كان الله البر الرحيم يرسل إليهم النبي تلو النبي، والرسول إثر الرسول، حتى خَتَمَ رسله إليهم بآخر أنبيائهم ورسلهم، وهو عيسى عليه السلام.

فعيسى عليه السلام يعدّ الفصل الأخير من فصول ديانة بني إسرائيل، وشاء الله أن يكون هذا الفصل فصلًا مليئًا بالأسى والألم والشجون والتحمل والصبر.

وقصة عيسى المسيح هي قصة التوحيد الخالدة، وتبدأ فصول هذه القصة من لحظة نذر امرأة عمران بأن تجعل ما في بطنها محررًا لخدمة بيت المقدس، وبالفعل وضعت امرأة عمران مولدها، وكان مولودها أنثى، وسمتها مريم، وتقبلها الله تعالى لشرف خدمة بيته المقدس.

وأخذت أحداث القصة بالتتابع، فقد نشأت مريم نشأة طاهرة نظيفة، نشأت نشأة تقية نقية، بعيدة كل البعد عن أدران الفسوق

والرذيلة والجاهلية، فكافأها الله تعالى بأن جعله أمّ خاتم رسل بني إسرائيل، وقد جاء حمل مريم العذراء البتول بخاتم رسل بني إسرائيل بطريقة عجيبة وغريبة، وخارجة عن المألوف والمعروف، حيث جاء الحمل بنفحة روحانية مباركة من مَلَكٍ روحاني مبارك في جيب درع الفتاة الشريفة المباركة مريم عليها السلام، فحملت بطفل روحاني مبارك، فَحُقّ أن يقال عنه: كلمة الله وروح منه.

ويستمر مشهد ميلاد عيسى المعجز بلقطة توحيدية أخرى معجزة، وهي نطق هذا الرضيع بكلمة التوحيد، وهو في المهد صغير!

وهكذا ما انتهي المشهد التوحيدي المعجز الأول من قصة عيسى، حتى يسطع مشهد توحيد آخر بديع، وهو مشهد بدء نبوة عيسى، وإنزال الإنجيل عليه.

وفي هذا المشهد يلعب عيسى دورًا عظيمًا في غرس شجر التوحيد في عقول بني إسرائيل وقلوبهم.

وفي أثناء هذا المشهد الدعوي التوحيدي لعيسى في قومه إذ تفاجأنا القصة بمشهد معجز آخر، وهو مشهد إنجاء عيسى من شر قومه الكافرين برفعه إلى السماء!!

هكذا كانت حياة عيسى – عليه السلام – مشاهد متتابعة من المعجزات!!

ويشاء الله تعالى أن تبقى قصة عيسى التوحيدية مفتوحة النهاية، حتى تغلق بمشهد أكثر روعة وتوحيد، وهو مشهد نزول عيسى المعجز آخر الزمان؛ ليهدم الكفر، ويقتل الدجال، وينصر التوحيد، ويعلي الإسلام.

وبهذا المشهد المعجز تكتمل قصة عيسى، أو قل قصة التوحيد وإفراد الله بالربوبية والألوهية.

فصلى الله عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم.

إبراهيم أحمد قشطة

المراجع

1. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار مصر للطباعة، 2002م.
2. إسماعيل بن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، مكتبة الصفا: 2002 م.
3. إسماعيل بن كثير الدمشقي، مختصر تفسير ابن كثير، اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني، دار التراث العربي للطباعة والنشر: 1987م.
4. خالد بن عثمان السبت، قواعد التفسير جمعًا ودراسة، دار ابن عفان:1421هـ.
5. الفخر الرازي، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي ببيروت، بدون سنة نشر.
6. زكريا بن محمد الأنصاري، فتح الرحمن شرح مما يلتبس من القرآن، دار الكتب العلمية: 2003 م.
7. عبد الرحمن السعدي، قصص الأنبياء، دار أضواء السلف :2002 م.

8. عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار ابن الهيثم: 2000م.
9. عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم: 1996 م .
10. عدنان محمد الكحلوت، إعلام السادة النبلاء بسيرة صفوة العالمين من المرسلين والأنبياء، دار المنارة: 2011 م.
11. فضل عباس وسناء عباس، إعجاز القرآن الكريم، بدون دار نشر، بدون سنة نشر.
12. محمد خليل هراس، دعوة التوحيد، مكتبة الصحابة، بدون سنة نشر.
13. محمد علي الصابوني، النبوة والأنبياء، بدون دار نشر، بدون سنة نشر.
14. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار الصابوني، بدون سنة نشر.
15. محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الحديث: 2002 م.
16. محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، دار بن حزم: 2002 م.

17. محمد بن محمد أبو شبهة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، مكتبة السنة: 1408 هـ.

18. محمد صديق خان، الإذاعة لما بين يدي الساعة، دار الكتب العلمية، بدون سنة نشر.

19. محيى الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، دار اليمامة، 2001 م.

20. مصطفى مراد، السبعة الذين تكلموا في المهد، دار الفجر، 1999 م.

21. مصطفى بن العدوي، التسهيل لتأويل التنزيل تفسير سورة آل عمران في سؤال وجواب، دار ابن رجب: 2002 م.

22. يوسف بن إسماعيل النبهاني، علامات قيام الساعة الصغرى والكبرى، اختصارًا من كتاب الإشاعة لأشراط الساعة، دار ابن حزم، 2000م.

23. يوسف بن عبد الله بن يوسف الوابل، أشراط الساعة، دار ابن الجوزي، 1996 م.